العثمانيون وشيعة العراق

كربلاء أنموذجاً 1843

خوان كول   موجان مومن





دراسة وترجمة

د. نهار محمد نوري

العثمانيون وشيعة العراق
كربلاء أنموذجاً 1843



* اسم الكتاب: العثمانيون وشيعة العراق / كربلاء أنموذجاً 1843

* تأليف: خوان كول وموجان مومن

* دراسة وترجمة: د. نهار محمد نوري

* الطبعة الأولى: شركة دار الورّاق للنشر 2016

* تصميم الغلاف دار الورّاق

warrak123@gmail.com
www.alwarrakbooks.com
www.facebook.com/warrakbooks
ISBN: 978-9933-521-48- 6

التوزيع

شركة دار الورّاق ش.م.م
بيروت خلدة طلعة مبرة الإمام الخوئي
بناية: موسى صالح
هاتف: 009611341927
فاكس: 009611750053

Alwarrak Publishing Ltd.
26 Eastfields Road
London W3 0AD-UK
Tel: 00442087232775
Fax: 00442087232775
warraklondon@hotmail.com

شركة بيت الورّاق للنشر والتوزيع المحدودة
العراق بغداد شارع المتنبي
تلفون: 009647702749792
009647801347076

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت الحمرا بناية رسامني طابق سفلي أول
ص.ب: 6435 - 113 بيروت لبنان
هاتف: 009611750054
فاكس: 009611750053
e-mail: info@alfurat.com

العثمانيون وشيعة العراق

كربلاء أنموذجاً 1843

تأليف

خوان كول　　　موجان مومن

دراسة وترجمة

د. نهار محمد نوري



Ottomans and Iraq's Shiites: Karbala paradigm 1843

THE REBELLION OF OTTOMAN KARBALA 1824-1843

Past and Present (1986) 112 (1): 112-143 doi:10.1093/past/112.1.112

By

Juan R. I. Cole and Moojan Momen.

MAFIA, MOB AND SHIISM IN IRAQ

Oxford University Press
Great Clarendon Street
Oxford OX2 6DP

Translation & Editing and Comments

By

Dr. Nahar Nuri

Al- Warrak Publishing Ltd
26 Eastfields Road
London W3 0AD – UK

المحتويات

المقدمة

ما يزال حقل الدراسات العثمانية حقلاً خصباً وثرّاً بأحداثه ووثائقه الغزيرة ويستقطب جمعاً غفيراً من الباحثين والمهتمين بهذا الحقل الحيوي من التاريخ الحديث. ويُعدّ العراق خلال العهد العثماني واحداً من أبرز تلك الحقول الواعدة التي تساعدنا في تفسير إرث المنطقة وترابطاتها الزمانية والمكانية عبر التاريخ؛ فتاريخ العراق خلال هذا العهد مفعم بالأحداث الجسام ويحتاج إلى إعادة نظر وقراءة معمقتين بغية الإسهام في إزالة بعض التعميمات المؤدلجة أو هنّات بعض الباحثين وهفواتهم.

لقد أسهمت عملية تورخة (هستيريوغرافية) العراق من منظور تحليلي سوسيولوجي، التي درجت عليها المدرسة الغربية في تأصيل الحقب العثمانية المتعاقبة على تاريخ العراق، في إغناء المدرسة الاستشراقية الواسعة النطاق وأعطت بُعداً مهماً في إعادة صياغة كتابة التاريخ من جديد لكن وفق آلية بحثية غنية ارتكزت في صلابة تفوقها على ما اكتشف من وثائق جديدة وعلى قراءة وإحاطة بتاريخ المنطقة المحيطة المتفاعلة جغرافياً مع الأحداث التاريخية التي درستها ونقبت فيها تلك المدرسة التي لم تنفصم عن المدرسة الغنية التي

تصدت لها المراكز البحثية الجديدة المنبثقة مع حركة أرشفة وثائق التاريخ العثماني في تركيا؛ إذ أسهمت هذه المدرسة، ولا تزال، في رفد حركة كتابة التاريخ من منظور وثائقي تحليلي صرف.

الكتاب الذي أقدمه تحت عنوان: «**العثمانيون وشيعة العراق: كربلاء أنموذجاً 1843**» ينضوي ضمن هذه المنهجية، ويحاول قدر الإمكان أن يعيد قراءة الحدث التاريخي المتعلّق بهذه البقعة من العراق، وأن يلقي الضوء على فرضيات جديدة تسهم في إعادة تنشيط الذاكرة التاريخية المتعلقة بها وربطها وتحليلها من جديد على وفق مصادر جديرة بالاهتمام ستسهم في تصحيح وتعديل بعض المعلومات التي سبق أن تناولها الباحثون في تورخة العراق الحديث.

وفي ضوء ذلك، ارتأيت تقسيم الكتاب إلى قسمين يكمل أحدهما الآخر وهو ما كرسه عنوان الكتاب الجانبي تحت تعبير «دراسة وترجمة»؛ استهلّ القسم الأول بتعريف بالمؤرخَين خوان كول وموجان مومن ومن ثم بمدخل منهجي تاريخي يتعلق بالفرضية التي تحاول أن تفسر المصطلحات الواردة بالدراسة المترجمة في القسم الثاني من الكتاب والملابسات التي قيلت بشأنها، ليعقبها موضوعان مكثفان يكمل أحدهما الآخر تحت عنوانين هما: «العلاقة التجاذبية لعلماء الدين مع السلطة القاجارية وانعكاسها على نشاط اللوتية»، و«حادثة كربلاء في سياق الاستجابة السياسية الدينية القاجارية واستمرار العلاقة المتوترة بين العلماء والسلطة». أما القسم الثاني: فقد خصص لترجمة دراسة المؤرخَين كول ومومن الخاص عن كربلاء خلال المدة 1824 ـ 1843.

في الختام، أود القول إننا بحاجة ماسة إلى «إعادة كتابة التاريخ» منهجياً وآكاديمياً بروح علمية منصفة بعيدة عن المتخيل والتصور المسبق ومجردة من الغرض ومقتربة قدر الإمكان من الحياد الذي يفرضه كل عمل بحثي جدير بالقراءة وملم بالوقائع التاريخية مثلما أوردتها المظان التاريخية بلا تحريف أو تزويق أو انفعال. وإن ورد مثل ذلك فمهمة إزميل وغربال المؤرخ الجاد كفيلة بتعديل وتنقيح الصورة قدر المستطاع. ولا يفوتني في هذه المقدمة أن أبدي عظيم امتناني للأساتذة الأفاضل الذين أمدوني بملاحظاتهم الجليلة والقيّمة وهم كل من المؤرخ الجليل البروفيسور د. فاضل بيات والأخ العزيز والمؤرخ الجاد د. أنيس عبد الخالق محمود والمترجم واللغوي البارع الأستاذ مصطفى نعمان أحمد، أطال الله في أعمارهم.

د. نهار محمد نوري[1] بغداد

شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2014

ملاحظة: العبارات الواردة في الكتاب ضمن معكوفين هي من وضع المترجم.

---

(1) د. نهار محمد نوري: مدرس في قسم التاريخ ـ كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية في بغداد العراق.

القسم الأول

تعريف بمؤلفَي الدراسة

البروفيسور خوان كول

ولد الباحث والمؤرخ الأمريكي البروفيسور خوان ريكاردو آي. كول Juan Ricardo I. Cole في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 1952 في مدينة البوكيرك بولاية نيو مكسيكو. ونال شهادته الجامعية من جامعة نورث ويسترن Northwestern University في عام 1975، متخصصاً بتاريخ أدب الأديان، وقصد بيروت من أجل إكمال دراساته العليا. إلا أنه اضطر إلى مغادرتها بعد نشوب الحرب الأهلية هناك في عام 1975. ولذلك سعى لنيل شهادة الماجستير من الجامعة الأمريكية بالقاهرة في الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية؛ ليتخرج منها في عام 1978. والتحق في عام 1979 بجامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس، بوصفه طالباً للدكتوراه في حقل الدراسات الإسلامية، وتخرج في عام 1984. وبعد التخرج تمّ تعيينه أستاذاً مساعداً حتى أصبح أستاذاً في عام 1995 في جامعة ميشيغن الأمريكية؛ وحاز كرسي الأستاذية ريتشارد بي. ميتشل Richard P. Mitchell الجامعي للتاريخ في الجامعة ذاتها في عام 2007. وقد انصبت اهتمامات المؤرخ كول على القضايا التي تعنى بتاريخ الشرق الأوسط الحديث وجنوب آسيا. ولذلك تمحورت مجالات كتاباته الرئيسة بثلاثة محاور،

هي: التاريخ الديني والثقافي الحديث لإيران والعراق، والتاريخ الاجتماعي والثقافي الحديث لمصر، والدين في جنوب آسيا. ولم يقتصر نشاطه في الحقول الدراسية؛ إذ برز معلقاً على شؤون الشرق الأوسط في الصحافة والتلفزيون، كما أدلى بآرائه أمام مجلس الشيوخ الأمريكي في عام 2004 بشأن الأوضاع في العراق. وعُرف بكونه مترجماً من العربية والفارسية. كما كان يحرر ومنذ عام 2002 مدونته المعنونة: Informed Comment التي كانت تحمل في السابق عنوان: Informed Consent.

وتقلّد مناصب مهمة منها: رئاسته لتحرير المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط The International Journal of Middle East Studies الشهيرة. كما تسنم وظائف اختصاصية في المعهد الأمريكي للدراسات الإيرانية؛ إذ شغل عضوية هيئة تحرير مجلة الدراسات الإيرانية The Journal Iranian Studies، وانتُخب رئيساً لرابطة دراسات الشرق الأوسط بأمريكا الشمالية The Middle East Studies Association of North America في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني 2004. وفي عام 2005، نال جائزة جيمس أرونسون James Aronson للصحافة والعدالة الاجتماعية التي تولت تقديمها كلية هنتر Hunter College. وشغل منصب رئيس مركز دراسات جنوب آسيا Center for South Asian Studies في جامعة ميشيغن خلال الأعوام 2009 ـ 2012. كما شغل خلال 2013 ـ 2012 منصب رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا Center for Middle Eastern and North African Studies في جامعة ميشيغن أيضاً.

درس كول اللغة العربية في جامعة نورث ويسترن، وفي بيروت، وفي الجامعة الأميركية في القاهرة، ثم في جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس. ومن اللغات التي يجيد التحدث بها هي اللغة العربية (الفصحى الحديثة فضلاً عن اللهجات اللبنانية والمصرية)، ويتقن اللغة الفارسية، والأُردية، ويجيد قراءة العثمانية (التركية)، فضلاً عن معرفته باللغات الفرنسية والألمانية والإسبانية.

وفضلاً عن اهتماماته المتعلقة بتاريخ مصر الحديث، شغل ما يُسمّى بالأدبيات الغربية «الإسلام الشيعي» حيّزاً كبيراً لديه؛ إذ كان قوس منطقة المجتمعات الشيعية الممتد من العربية السعودية ولغاية الهند، محط اهتمام كتاباته، فضلاً عن الإسلام على نحوٍ عام. وكذلك أولى اهتماماً بالتاريخ العلماني (المدني) والسياسي لهذه المنطقة، والدراسات المقارنة. وتناول أول كتبه تاريخ التشيُّع في شمال الهند. وعالج في كتابه الرابع الحركات الشيعية الحديثة في جميع أنحاء جنوب وغرب آسيا. وأولى اهتماماً بتاريخ البهائية، وأصدر عن نشأتها كتاباً مهماً تحت عنوان: «الحداثة والألفية: نشوء المعتقد البهائي في الشرق الأوسط خلال القرن التاسع عشر Modernity and the Millennium: The Genesis of the Bahá'í Faith in the Nineteenth Century Middle East» في عام 1998، في نيويورك عن دار Columbia University Press.

واضطلع المؤرخ كول بترجمة بعض أعمال الأديب والفيلسوف والفنان اللبناني/ الأمريكي جبران خليل جبران، إذ ترجم ثلاثة أعمال من كتابات جبران من اللغة العربية إلى الإنكليزية؛ وهي: «عرائس

المروج» (مجموعة قصص قصيرة)، و«الرؤيا» (وهي قصائد نثرية)، ورواية «الأجنحة المتكسرة». وبعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، أسس كول المعهد الأمريكي العالمي Global Americana Institute من أجل ترجمة الأعمال المتعلقة بالولايات المتحدة الأميركية إلى اللغة العربية. وتم اختيار المجلد الأول من أعمال الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون كي تتم ترجمته ولأول مرة إلى اللغة العربية، وكان نصيب المجلد الثاني قد تعلق بسيرة حياة الزعيم الأمريكي مارتن لوثر كنغ، الابن، فضلاً عن خطابات وكتابات مختارة.

وأدلى البروفيسور كول بآرائه المتعلقة بالشرق الأوسط في صحف عالمية كثيرة منها: واشنطن بوست، لوموند دبلوماتيك، الغارديان، سان خوسيه ميركوري نيوز، سان فرانسيسكو كرونيكل، بوسطن رفيو، ذا نيشن، ذا ديلي ستار. فضلاً عن ظهوره في عدد كبير من البرامج التلفزيونية والبرامج الإخبارية العالمية. في الواقع، كانت إسهاماته البحثية غزيرة سواء على مستوى المؤلفات والكتب والمشاركات البحثية ضمن الكتب المشتركة التأليف أو البحوث الأكاديمية الرفيعة المستوى التي نشرت في أرقى الدوريات العالمية، التي مثلت بدورها إسهامة فاعلة في حقل الدراسات التاريخية أو الدراسات الدينية المقارنة.

سعى الدكتور كول لوضع العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي ضمن سياق تاريخي. ومن أشهر كتبه كتابه المعنون: «إشراك العالم الإسلامي Engaging the Muslim World» الصادر في عام 2009 عن دار Palgrave Macmillan. وألّف في الآونة الأخيرة كتاب: «مصر نابليون:

غزو الشرق الأوسط Napoleon's Egypt: Invading the Middle East»، وصدر في عام 2007 عن دار St. Martin's Press، وترجمه مصطفى رياض تحت عنوان: «مصر تحت حكم نابليون: غزو الشرق الأوسط»، وصدر عن المركز القومي للترجمة في القاهرة في عام 2013. وأهم ما ميّز هذا الكتاب اعتماد المؤلف على مصادر ذات طابع خاص لدى المؤرخين هي مذكرات وأوراق ومراسلات ضباط الحملة الفرنسية وجنودها من صناع الوقائع والمشاركين فيها أو شهود العيان.

صوّر المؤلف خوان كول في هذا الكتاب كيف قاوم العثمانيون مع المصريين والمماليك هذا الغزو عندما دارت معركة اشتهرت باسم معركة «الأهـرام»، فذكر أن العثمانيين قاوموا ولم يهربوا أو يستسلموا إلا بعد قتال عنيف. ونلاحظ على امتداد الكتاب، كيف تميز المؤلف بنظرة نقدية، لا تستسلم لما ورد في التقارير والمنشورات الرسمية، فهو يرى أن الفرنسيين الذين جاؤوا إلى مصر لتخليصها من ظلم المماليك واستبدادهم، لم يختلفوا عنهم كثيراً في السطوة والجشع.

الدكتور موجان مومن

ولِدَ الدكتور موجان مومن Moojan Momen في إيران، لكنه نشأ وتلقى تعليمه في بريطانيا، إذ أكمل دراسته الجامعية في جامعة كمبردج، ومارس مهنة الطب. وتلخّصت اهتماماته بالعقيدة البهائية و«الإسلام الشيعي» وفقاً لأطروحات مراجعهما التاريخية الذاتية. وفي السنوات الأخيرة، وسّع من نطاق اهتماماته لتشمل دراسة ظاهرة الدين. ومن أبرز مؤلفاته:

مقدمة في الإسلام الشيعي Introduction to Shi'i Islam، الذي نشر في Yale University Press, 1985.

المعتقدات البابية والبهائية 1844-1944: بعض الروايات الغربية المعاصرة The Babi and Baha'i Faiths 1844- 1944: Some Contemporary Western Accounts، الذي نشر في George Ronals, Oxford, 1982.

وظاهرة الدين: مدخل موضوعي The Phenomenon of Religion: A Thematic Approach، الذي نشر في Oneworld, Oxford, 1999.

وأسهم بعدد من المقالات في دوائر المعارف العالمية كدائرة المعارف الإيرانية Encyclopedia Iranica، ودائرة معارف العالم

الإسلامي الحديث Encyclopedia of the Modern Islamic World، فضلاً عن إسهاماته في الدوريات العالمية المحكمة كدورية The International Journal of Middle Eastern Studies، ودورية Past and Present، ودورية Iranian Studies.

والدكتور مومن زميل بحثي في الجمعية الملكية الآسيوية Royal Asiatic Society، وعضواً في الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط The British Society for Middle Eastern Studies، وجمعية الدراسات الإيرانية Society of Iranian Studies، والجمعية البريطانية لدراسة الدين British Association for the Study of Religion، ورابطة الدراسات البهائية The Association for Baha'i Studies.

مدخل منهجي تاريخي

تفرّدت الدراسة التي قدمها المؤرخان كول وومن عن تمرد كربلاء العثمانية لا بأصالة طروحاتها ومعالجتها الشاملة لتطورات الأحداث فحسب؛ وإنما في القدرة على توظيف أفضل المصادر وأعمقها مضموناً في تعليل إرهاصات وحيثيات ونتائج ذلك التمرد وفقاً لمنهج تحليلي موفق جعل القارئ في مواضع كثيرة من الدراسة يرى الترابط الجيد الذي اتسمت به؛ فقد تميَّزت هذه الدراسة عن الدراسات الأخرى الأجنبية والعربية بعدة مزايا؛ من أبرزها تنوع مصادرها ما بين المراسلات والتقارير الرسمية المعاصرة للأحداث والمخطوطات والمراجع العثمانية والتركية والفارسية والعربية وغيرها من اللغات، فضلاً عن عدد من البحوث الأكاديمية الرصينة المنشورة في الدوريات العالمية المحكّمة. كما اتسم المنهج المتبع بالانعتاق من الطابع السردي الذي وسَم بعض الدراسات السابقة؛ إذ نجح المؤرخان نجاحاً كبيراً في استخدام المنهج التحليلي وتوضيح العلاقات الاجتماعية الدائرة آنذاك ومصالح كل فئة من الفئات الفاعلة والأساليب المتبعة، فضلاً عن تلخيص أبرز النتائج المتمخضة عن ذلك التمرد. وصدرت هذه الدراسة تحت عنوان:

«خوان، آر. آي. كول، موجان مومن، المافيا والغوغاء ونزعة التشيُّع في العراق: تمرد كربلاء العثمانية 1824 -1843.

Juan R. I. Cole, Moojan Momen, Mafia, Mob and Shiism in Iraq: The Rebellion of Ottoman Karbala 1824- 1843».

في دورية

Past and Present, No. 112. (Aug., 1986), pp. 112- 143.

ونظراً لأهمية هذه الدراسة وجدية موضوعها، فقد ارتأى المؤرخ خوان كول إعادة نشرها ضمن كتاب آخر من مؤلفاته حمل عنوان:

«المجال المقدس والحرب المقدسة: سياسة الإسلام الشيعي وثقافته وتاريخه:

Juan Cole, Sacred Space and Holy War: The Politics, Culture and History of Shi'ite Islam».

الصادر عن دار I.B. Tauris & Co Ltd، في لندن في عام 2002.

ومن المزايا التي تحلّت بها هذه الدراسة ارتكاز جزء كبير منها على عقد مقارنة بين الفئات الاجتماعية في كربلاء ونظيراتها الأوروبية. وبرز ذلك جلياً من خلال فرضية الدراسة وعنوانها الذي طرح مصطلح المافيا العصابة، لا ليسهم في إسقاط المفهوم الأوروبي على واقع المعالجات التاريخية التي تتقصى التاريخ المناطقي العراقي خلال الحقبة العثمانية فحسب، وإنما للتدليل أيضاً على أن تناظر السمات والأبعاد التي شكلت ذلك التشابه له من المعطيات المتعاصرة في كل من صقلية الإيطالية (مولد المافيا الريفية القروية)

وكربلاء العثمانية (مولد المافيا الحضرية وفقاً لوجهة نظر المؤلفَين)؛ إذ أكدت الفرضية المحورية في هذه الدراسة على تلك الصفات المتعاصرة حينما تناولت خصائص الجماعات الناشطة ودورها الحركي وسماتها التراتبية الخاصة فضلاً عن المؤثرات الإقليمية ودورها في تفاعل الحدث التاريخي وصيرورته.

ولم يكن ذلك الإسقاط المفاهيمي من الوسط الأوروبي على الوسط العراقي (العثماني) وليد المبالغة والإقحام، فقد شدّد المؤرخان كول وmomن على أن مافيا كربلاء تختلف عن معاصرتها الصقلية في كونها حضرية ولا ترتكز على القرية، وأقامت بناءً موازياً للسلطة ارتكز على أعمال الابتزاز والاستخدام الشخصي للقوة، وتزعمها الموسرون. وأكدا على الظروف التاريخية الحديثة والمبكرة التي حاقت بنشأتيهما؛ فهي (أي المافيا)، قد جاءت للسلطة نتيجة لضعف سلطة الدولة في المراكز الحدودية كالمناطق الريفية النائية في جزيرة صقلية، وبهذا فإن هذا الرأي ينطبق على كربلاء أيضاً إلى حدٍّ كبير.

في الواقع سبق وأن استخدم ووظّف، من دون غضاضة، بعض الكُتاب والباحثين العراقيين ذلك النشاط الجمعي في أثناء تمرد كربلاء خلال العهد العثماني (1824 - 1843)، تحت مصطلح «العصابات»؛ إذ أورد الأستاذ جعفر الخياط، في موسوعة العتبات المقدسة مصطلح «العصابات» للإشارة إلى تلك الجماعات الخاصة التي وقفت بوجه الاجتياح العثماني لمدينة كربلاء آنذاك[1]. وفي

(1) الخليلي، جعفر، **موسوعة العتبات المقدسة**، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1987، ج8 (قسم كربلاء)، ص277؛ إذ كتب وترجم الفصل المتعلق =

الوقت الذي استخدم فيه المؤرخان كول ومومن مصطلح الغوغاء Mob، بعد استخدام مصطلح المافيا مباشرةً في عنوان الدراسة، للتعبير عن تلك الظاهرة الغوغائية في تصرف زعماء العصابات ومناصريهم، نرى أن عالم الاجتماع العراقي المعروف علي الوردي قد وصف تلك الحالة التي سيطرت على الجموع في المجتمع الكربلائي، التي في جلها وليدة التخويف الذي مارسه زعماء العصابات، في أثناء الحصار العثماني، «بالنزعة الغوغائية»، إذ ذكر: «... إن رجال الدين والتجار والكسبة... لم يكونوا راضين عن الحالة أو راغبين في محاربة الحكومة ولكنهم لم يستطيعوا الإفصاح عن نياتهم... وهذا هو ما يحدث عادةً في كل مجتمع يسيطر عليه السفلة والغوغاء حيث يعلو فيه صوتهم ويخفت صوت من عداهم، والويل لمن يعارضهم في شيء! أضف إلى ذلك إن النزعة الغوغائية التي تستفحل في مثل هذه الحالة قد تدفع الكثير من الناس إلى الحماس والهتاف وإبداء الشجاعة المصطنعة، وقد ينتشر الحماس الغوغائي بين السكان كما ينتشر الوباء الجارف، وبذا يسير المجتمع نحو الكارثة خطوة وراء خطوة كأنها القدر المحتوم»[1]. كما أورد البحّاثة عبد الرزاق الحسني تلك النعوت في معرض حديثه عن النزاع المسلح الذي وقع

= بكربلاء الأستاذ جعفر الخياط ضمن هذه الموسوعة تحت عنوان: «كربلاء في المراجع الغربية» وشملت الصفحات 249-387؛ كذلك انظر: لونكريك، ستيفن هيمسلي، **أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث**، ط4، ترجمة: جعفر الخياط، بغداد، بلا مكان طبع، 1968، ص346.

(1) الوردي، علي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1971، ج2 (من سنة 1831 إلى سنة 1872)، ص119 ـ 120.

ما بين القوات النظامية العثمانية والقوات الأهلية المدافعة في أثناء عملية الاقتحام، إذ ذكر: «... التحمت الجيوش الحكومية النظامية مع القوات الشعبية في معركة ضارية استمرت وقتاً طويلاً، فتغلبت القوات النظامية على قوات الأهلين في نهاية الأمر، لأنها استبسلت في القتال، ولا سيما بعد أن سمعت الغوغاء يسبون خليفة المسلمين على مسمع من الجنود وضباطهم جهاراً...»[1].

إن المعالجات الأكاديمية ذات الطابع الفيلولوجي التي وسمت بعض الأعمال البحثية لها من الدلالات الجديرة بالاهتمام والإحاطة. ولذلك نرى أن أبرز ما تحلت به الدراسة التي ترجمناها هو طرحها

---

(1) لمزيد من التفاصيل، انظر: الحسني، عبد الرزاق، تسخير كربلا واستباحتها أو حادثة محمد نجيب باشا، **مجلة البلاغ**، السنة السادسة، 1976، ع3، ص3 ـ 14؛ وتكملته في المجلة ذاتها في ع4، ص55 ـ 56. كما أصدر البحث نفسه في كراس منفصل، انظر: الحسني، عبد الرزاق، **تسخير كربلاء في واقعة الوالي محمد نجيب في عام 1258هـ/ 1842م: وهي الواقعة التي أرّخت بكلمتي «غدير دم»**، بيروت، مطبعة دار الكتب، 1978، ص35 ــ 36. وللتدليل على الأعمال الإجرامية الابتزازية التي اضطلع بها إبراهيم الزعفراني زعيم أكبر فصيل عربي قبل حادثة كربلاء، يكفي الإشارة إلى حادثة اختطاف المجتهد السيد إبراهيم القزويني، الذي لم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع مبلغاً ناهز الأربعة آلاف قران من سكة محمد شاه القاجاري. كما سبق أن تمّ اختطاف، في أيام الوالي داود باشا، بنتاً من بنات شاهزادات الأسرة القاجارية المالكة في إيران، فأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الدولتين القاجارية والعثمانية. انظر: الخليلي، المصدر السابق، ج8 (قسم كربلاء)، ص278؛ العزاوي، عباس، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**، بلا. م، الدار العربية للموسوعات، بلا. ت، م7 (العهد العثماني الثالث 1831 1872)، ص78 ــ 79.

لمصطلح «اللوتي» Luti أو «اللوتية» Lutis للتدليل عن تلك الجماعة شبه «العصبوية» التي راج نشاطها قبل الاجتياح العثماني لمدينة كربلاء وفي أثنائه. فعلى الرغم من أن هذا المصطلح سبق وأن تناولته بحوث ومؤلفات الأكاديميين الأجانب سواء تلك التي تطرقت إلى تاريخ إيران الحديث أو تاريخ العراق الحديث، إلّا أن أيّاً من المصادر العربية لم تتناول ذلك المصطلح وعلاقته بحادثة تمرّد كربلاء العثمانية! وقد يبدو وللوهلة الأولى أنّ مردّ ذلك القصور عائد إلى ذيوع التعبير العثماني الذي أطلق على تلك العصابات في المصنفات والمؤلفات الأولى التي دوّنت تلك الحادثة تحت تعبير «ياراماز» Yaramaz (التي تعني الشقي، الخبيث، الشرير، المشاغب، النذل، الحقير، عديم القيمة أو الفائدة)، وهو ذلك التعبير الذي أشاعه العثمانيون في العراق لنعت «اللوتية» هناك[1].

أما مصطلح أو مفردة «اللوتي» فقد اعتادت المصادر العراقية على طرحه كمفردة (عاميّة تركية) دارجة في اللهجة العامية العراقية؛

(1) قارن ما أورده ريد هاوس في معجمه الشهير الخاص بالألفاظ العثمانية، إذ وضع مقابل المفردة العثمانية Yaramaz الكلمة الإنكليزية Mischievous التي تعني المؤذي، العابث. وأشار قاموس حديث إلى أن الكلمة الإنكليزية المرادفة لمفردة ياراماز هي Scamp التي تعني الوغد أو النذل. انظر:

Redhouse, J. W., **Redhouse's Turkish Dictionary**: English and Turkish & Turkish and English, Second Edition, London, Bernard Quaritch, 15 Piccadilly, 1880, Part I: English and Turkish, p. 195; **Akdikmen, Resuhi, Langenscheidt Pocket Dictionary Turkish**: Turkish English & English Turkish, Berlin & Munich & Istanbul, Langenscheidt KG, 2006, p. 517.

إذ تمت ترجمته تحت معنى المحتال، الفطن، المراوغ، وأشير بكونه عائداً في جذوره إلى تعبير (لوطي) الفصيح، وأن اللغة التركية قد اقتبسته[1]. فيما أشار مصدر آخر إلى اعتبار مفردة «اللوتي» من جذور كردية وتعني الفاسق، المحتال، المخادع[2]. ومنهم من رجّح رجوعها إلى العربية الفصحى ومن الفعل لات: لوتاً وليتاً، أي أخبر بالشيء على غير وجهه وكتمه وأتى بخبر سواه، ولاتَ عن كذا صرفه عنه، وكلها تعطيك بوضوح صفات المخادع[3]. كما رجّح الأكاديمي العراقي المعروف الدكتور سامي سعيد الأحمد بأن مفردة «لوتي» ربما تعود في جذورها إلى اللغة الأكدية من لفظة (ليتو Lītu) التي تعني القادر، القوي، النصر، إذ تعني «لوتي» في العامية العراقية الحذر، الصعب المراس، المحتال[4].

---

(1) محمد، مجيد، **معجم المصطلحات والألفاظ الأجنبية في اللغة العامية العراقية**، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، ص291.

(2) البزركان، رفعت رؤوف، **معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة**، ط1، بغداد، الأمراء للطباعة والتصميم، 2000، ص161.

(3) البزركان، المصدر السابق، ص161؛ رضا، الشيخ أحمد، **معجم متن اللغة**: موسوعة لغوية حديثة، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1960، م5، ص221.

(4) الأحمد، سامي سعيد، اللغة الآكدية في اللهجة العامية العراقية، **مجلة التراث الشعبي**، بغداد، دار الحرية للطباعة، السنة العاشرة، 1979، العددان الثالث والرابع، ص30؛ ومن أجل متابعة دلالات لفظة (ليتو)، انظر:

Black & Others (eds.), Jeremy, **A Concise Dictionary of Akkadian**, 2nd Printing, Wiesbaden, WS Druckerei Werner Schaubruch GmbH, Bodenheim, 2000, p.183; Oppenheim & Others (eds.), A. Leo, The **Assyrian Dictionary**, Third Printing, Illinois, J. J. Augustin, Glückstadt, 1992, Vol. 9, p.221.

لم تكن الولايات العراقية (العثمانية) بمعزل عن المؤثرات الاجتماعية الإقليمية؛ فتسرب الكلمات والألفاظ الأجنبية ورواجها كالتركية (العثمانية) ومعاصرتها (الفارسية)، كثيرة ودلالاتها ورمزياتها لا زالت قائمة في المجتمع العراقي المعاصر[1]. لكن ما يهمنا في هذا المجال هو متابعة مفردتي «اللوتي» و«اللوتية»، وأثرهما الدلالي (اللغوي الاجتماعي) في إيران القاجارية، ومدى انعكاسهما في داخل الولايات العثمانية في كربلاء بالذات.

في المقام الأول، يجب الإشارة وقبل الخوض في تفاصيل الإجابة عن هذه التساؤلات، إلى أن رواج مفردة «لوتي» في العراق، وكما نوّهنا معجمياً أعلاه، لم يكن ذا وجه سلبي على نحوٍ دائم، فقد استخدمت هذه المفردة كاسم علم في العراق؛ إذ أشار المؤرخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة في الجزء الأول من كتابه المعنون: **ماضي النجف وحاضرها**، في معرض حديثه عن دور فصيلي الزقرت والشمرت ونشاطهما[2]، إلى أن أحد أبناء أبرز زعماء فصيل

---

(1) من المفيد الإحالة هنا إلى الدراسات الآتية: جلاب، عبد علي كاظم، الكلمات الدخيلة في اللهجة الكربلائية في قاموس دانشكاهى، **مجلة جامعة كربلاء العلمية**، م4، ع3، سبتمبر/ أيلول 2006، ص186 -202؛ مزبان، علي لازم، الألفاظ الفارسية في اللهجة العراقية، **مجلة دراسات إيرانية**، جامعة البصرة، 2006، ع3 -5، ص93ــ 111.

(2) تشكل هذان الفصيلان في النجف في مطلع القرن التاسع عشر لأسباب دفاعية وبهدف صد الهجمات والغارات وردع الغزاة والمغيرين ولا سيما الغزوات الوهابية. ولهذا عُدّا من أولى المليشيات الشعبية المسلحة؛ إذ أسس الشيخ جعفر كاشف الغطاء الفصيل الأول (الزقرت)، أما الفصيل الثاني (الشمرت) فتشكل =

الزقرت السيد محمود ابن السيد سلمان ابن السيد محمد العوادي، كان اسمه «لوتي»[1]. ومن الجدير بالذكر، وضمن هذا السياق، أن نذكر أن انتساب عشيرة آل كريط العراقية التي تقطن في قضاء الهندية (طويريج) بكربلاء، يعود إلى رئيسها منذور بن لوتي. وكان للأخير حظوة خاصة لدى الدولة العثمانية إذ نال، وكما أثبتته سالنامه ولاية بغداد لعام 1903، الوسام المجيدي من الدرجة الخامسة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[2].

وفي الإطار ذاته، يمكننا طرح التساؤل الافتراضي الآتي؛

= بعد نشوب صراع ضمن الفصيل الأول على إثر اغتيال السيد محمود الرحباوي، الأمر الذي أدى إلى إحداث الانشقاق عن الفصيل الأول. والزقرت أو الزكرت من الصقر أو من صيد الصقور أو تشبهاً بالصقور، و«زقرتات» يعني نحن عدة بلا سلاح نتصيد ونستأنس، ليتطور المفهوم في الأوساط الشعبية إلى أن أصبح صفة ملازمة لكل شخص مجرد من العائلة والمسؤولية حتى قيل في اللهجة العامية «أنا زقرتي» يعني خفيف المؤونة لا عدة لي ولا عيال، ومن الأمثال الشعبية الدارجة: «أنا زكرتي ما لحكتني غير تفكتي» أي «أنا لا أملك غير سلاحي». أما الشمرت فجاءت من «الشمردل» أي الفتى الشجاع والسريع الحركة، ثم تعرضت هذه التسمية للتحوير والاختصار، بمرور الأيام، وصارت «شمرت». للتفاصيل انظر: البستاني، مهدي جواد حبيب، وثائق عثمانية غير منشورة عن المقاومة العربية في النجف أواسط القرن التاسع عشر، **مجلة دراسات في التاريخ والآثار**، بغداد، مطبعة الأمة، ع8، 1991، ص159 -218؛ آل محبوبة، جعفر الشيخ باقر، **ماضي النجف وحاضرها**، ط 2، بيروت، دار الأضواء، 1986، ج1، ص330 -340.

(1) آل محبوبة، المصدر السابق، ج1، ص338.

(2) Eroğlu & Others, Cengiz, Osmanlı Vilayet Salanmelerinde: Bağdat (1903), Ankara, **Center for Middle Eastern Strategic Studies** (ORSAM), 2012, p. 384.

ما هو تأثير الوسط الاجتماعي في إيران خلال الحقبة القاجارية في القرن التاسع عشر على الوسط الاجتماعي العراقي خلال الحقبة ذاتها؟ وهل يمكننا تلمّس تلك المؤثرات خلال حادثة تمرد كربلاء العثمانية؟ تحتاج الإجابة عن مثل هذا التساؤل إلى تحري الأوضاع العامة والكشف عن مدى تفاعلها في الوسطين القاجاري والعثماني. وفي هذا السياق، تعزز متابعة أوضاع جماعة «اللوتية» في إيران القاجارية الفكرة القائلة أن مفردة «اللوتي» قد جاءت من هناك إلى الوسط العراقي الكربلائي بفعل قرب المحيط الجغرافي والاحتكاك والتفاعل المباشر بين الطرفين نتيجةً لعوامل عديدة؛ كالتجارة والدراسة في الحواضر الدينية والرغبة في التقرب من المراقد المقدسة، وفي بعض الأحيان، جاء هذا التفاعل نتيجة لدواعٍ سياسية تسببت في لجوء عدد من الإيرانيين (القاجاريين) إلى الوسط الكربلائي، وفي أحيان أخرى لدواعٍ دفاعية[1].

---

(1) تواجدت في كربلاء حامية إيرانية من الجنود البرطاسية محدودة العدد، كان الشاه محمد القاجاري [أو محمد شاه قاجار بن عباس ميرزا، ثالث شاهات القاجاريين، حكم خلال المدة 1834 -1848] قد اتفق مع حكومة بغداد على إبقائها في هذه المدينة المقدسة لحراسة القنصلية الإيرانية ورعاية الجالية الإيرانية الكبيرة القاطنة فيها، وانضمت إلى قوات الكربلائيين بالضد من القوات النظامية العثمانية. انظر: الحسني، **تسخير كربلا واستباحتها**...،ع4، ص55 -56؛ الحسني، **تسخير كربلاء في واقعة الوالي**...، ص35 -36. أما العزاوي فيذكر بشأن هؤلاء تحت نعت البرطازية: «وردت في التواريخ الأخرى البلطاسية أيضاً، وهم نوع جند من الترك كانوا يستخدمون في أيام الدولة العباسية، والآن يطلقون على البلوش أو من كان على شاكلتهم، ولا يشترط أن يكونوا من القوم الذين تكوّنوا منهم في بادئ الأمر، وبنادقهم تسمى (شمخال)، ويعدون جيشاً وكان =

في الواقع منح الطيف الاجتماعي الواسع الذي أحاط بمفردة «اللوتي» داخل الوسط القاجاري أرجحية الاعتقاد بتسرب هذه المفردة من هذا الوسط. فقد أشارت مؤلفات وأبحاث عديدة إلى اتساع الفئات المنضوية في إيران القاجارية تحت مفردة لوتي. وللتدليل على هذا الكلام يكفي الإشارة إلى أن هذه الفئات اندرجت ضمن جماعات عديدة دعيت جميعها باللوتية؛ وكان من ضمنها البهلوانيون والمهرجون ومثيرو الشغب؛ إذ تعددت نشاطاتها الوظيفية كالمنتمين لجماعة نقارة خانة أو النقارة چية (قارعو الطبول) ولوتي خانة، وهي الطبقات التي تولت عملية الترفيه في الوسط الاجتماعي أو الرسمي في فارس القاجارية. أما أفراد لوتي خانة، فقد تولى الإشراف عليهم صاحب وظيفة لوتي باشي أي رئيس اللوتية. وكان من ضمن المهام المتعددة لهذه الفئات: الغناء وإقامة مجالس التعزية، إذ لاقت الأخيرة رعاية خاصة من البلاط الملكي الشاهنشاهي وحظيت بشعبية واسعة خلال الحقبة القاجارية. أما الفئة الأقرب إلى تنظيمات أو تشكيلات مثيري الشغب أو ما سمّوا باللوتية أيضاً فهُم مَن اشتركوا بصفات واسعة كالأشخاص الذين نعتوا بذوي الشهامة (الجوانمردية)، ومع ذلك، انضوى تحت لواء هؤلاء العديد من العناصر الإجرامية والعاطلين عن العمل ولهذا انبثقت جماعة جديدة دعيت چاقوكش Chaqukish (مستلو السكين Knife drawers) (أو ما يعرف بالمشاغبين (البلطجية) أو المهاجم بالسكين، كناية

= أرسلهم محمد شاه القجاري لمحافظة [كذا] كربلاء». انظر: العزاوي، المصدر السابق، م7، ص79.

عن الشخص الشرير)، التي انحرفت من الحركة اللوتية التقليدية. وسيطر العديد من هؤلاء على أحياء بأكملها نتيجة لضعف السلطة الرسمية[1].

وفي الوقت الذي تحددت فيه مسارات مفردة «اللوتي»

---

(1) من أجل متابعة مستفيضة عن تلك الفئات والأصناف التي انضوت تحت تعبير اللوتية، انظر على سبيل المثال لا الحصر البحثين الآتيين:

Floor, W. M., The Lūṭīs: A Social Phenomenon in qājār Persia: A Reappraisal, **Die Welt des Islams**, New Series, Brill, Vol. 13, Issue 1/2 (1971), pp. 103- 120; Arasteh, Reza, The Character. Organization and Social Role of the Lutis (Javan mardan) in the Traditional Iranian Society of the Nineteenth Century», **Journal of Economic and Social History of the Orient**, Vol. 4, No. 1 (Feb., 1961), pp. 47- 52.

والفصل القيم لفانيسا مارتن عن اللوتية ضمن كتابها، انظر:

Martin, Vanesssa, **The Qajar Pact**: Bargaining, Protest and the State in Nineteenth Century Persia, London, New York, I.B. Tauris & Co. Ltd, 2005, pp. 113- 132.

وفي هذا السياق لا بدّ من التعريج على ما ذكرته دائرة المعارف الإيرانية من تعريف لمفردة «اللوتي»، إذ ذكرت: «اللوتي: مصطلح فارسي ينطوي على مجموعة متعددة من المعاني، وذو مضامين أو دلالات إيجابية وسلبية». ويشير ولم فلور في ثنايا المقال ذاته المنشور في الموسوعة الإيرانية بتاريخ 2010، بأن لفظة لوتي قد أصبح لها مدلول سلبي آخر في العصر الحديث على غرار لفظة لوتي بازار أو لوتي بازي؛ التي تعني تحديداً الغش أو الخداع وبخاصة في الأمور المالية، أو لوتي كوردان التي تعني الإسراف أو التبذير. وأشار إلى أنه منذ القرن التاسع عشر أخذ المصطلح يشير إلى نوعية خاصة من قطاع الطرق والمجرمين على غرار روبن هود. انظر:

Floor, Willem, LUṬI, **Article in Encyclopædia Iranica, www.iranicaonline.org/articles/luti.**

و«اللوتية» في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، كما أسلفنا، نجد أن هذه المفردة قد اتخذت مجالاتها الأوسع ضمن نطاق الحيز الجغرافي الإيراني الحديث والمعاصر. وهنا يحق لنا التساؤل مرة أخرى، هل إن غنى الوسط الاجتماعي الإيراني وتنوعه له علاقة في تمظهر المفردة بطريقة أو بأخرى في الوسط الاجتماعي العراقي بحكم القرب الجغرافي والمؤثرات المتبادلة المتوقعة بين الطرفين الجارين؟ في الواقع إن الإجابة عن هذا السؤال الافتراضي ستبقى مفتوحة وقابلة للتأويل. لكن من جهة أخرى، ينبغي ملاحظة ما تقدمه الدراسات الأكاديمية المهمة في هذا المجال، فمن المفيد في هذا المقام متابعة الدراسات العلمية الاجتماعية ولا سيما ما اضطلع به البروفيسور إسكندر أمان اللهي[1] من دراسات قيمة ساعدت في كشف حلقة مثيرة في متابعة مفردة اللوتي؛ إذ أورد في بحوثه أن لوتية إيران هم من أصول غجرية، وفي مرحلة ما قبل الثورة الإسلامية، نال لوتية لورستان في جنوب غرب إيران، القدر الأكبر من مدخولاتهم من خلال قطاع الترفيه، إذ أدوا ممارساتهم في هذا القطاع في مراسم احتفالات الزواج، واحتفالات الختان، واحتفالات السنة الجديدة (الآن تسمى روز)[2].

وعلى الرغم من ذلك، كان غير اللوتية ينظرون بازدراء لنشاطات

---

(1) البروفيسور إسكندر أمان اللهي أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة شيراز (تسمى سابقاً جامعة بهلوي) في إيران.

(2) Amanolahi, Sekandar, The Islamic Revolution and the Lutis of Iran, CSQ Issue: 9.3 (Fall 1985) Nation, Tribe and Ethnic Groups in Africa.

اللوتية، فهمُ يرون أن اللوتية ملوثين (نجسين) ومن عرق حقير؛ بل إنهم يتعاملون معهم بوصفهم منبوذين.

وقد تعزّز ذلك الموقف بفعل مجموعة منوعة من الأساطير ذات الأصل غير اللوتي التي غذتها الرؤى الإسلامية الإعجازية؛ فقد كان الوسط الديني من رجال الدين يعارض، دائماً، أداء الرقص المصاحب للموسيقى والرقص المنفرد، بل حُظر على اللوتية أداء الموسيقى والرقص على اعتبار أن مثل تلك الأنشطة لا تتواءم مع التقاليد الإسلامية التي تكرست بعد الثورة الإسلامية لعام 1979. أما بخصوص الهوية الإثنية للوتية والتوزيع الجغرافي لهم، فيشير أمان اللهي إلى أن اللوتية والغالبية العظمى من موسيقيي إيران التقليديين هم من أصول غجرية. ويتوزع اللوتية، على نحوٍ ضئيل، في كل من محافظات لورستان فضلاً عن كردستان وكرمانشاه وعيلام. ولا تتوفر بيانات إحصائية للسكان اللوتية. وينقسم لوتية لورستان إلى أحد عشر فرعاً عادة ما تمت بصلة مع مختلف قبائل اللور في المناطق الريفية.

وعلى الرغم من ذلك، هاجر العديد من اللوتية في الأعوام الأخيرة إلى المراكز الحضرية. واليوم يعيش نحو ثلث اللوتية في خرم آباد عاصمة لورستان، فضلاً عن بولي دختر وبقية البلدات الأخرى[1]. وبناءً على ما تقدم، يمكننا أن نقول إن التمازج والاحتكاك

---

(1) Amanolahi, The Islamic Revolution and the Lutis of Iran; Amanolahi, Sekandar, The Gypsies of Iran (A Brief Introduction), **Iran & the Caucasus,** Vol. 3/4 (1999/2000), BRILL, p.109; Amanolahi & =

بين المنطقتين الشمالية والجنوبية لكل من العراق وإيران جغرافياً وتاريخياً قد ساعد بطريق أو بآخر في تأكيد الزعم القائل إن مفردة «اللوتي» قد وجدت طريقها السهل للدخول والتغلغل داخل النسيج الاجتماعي العراقي نتيجة لعوامل كثيرة يقف القرب والجوار الجغرافي في طليعتها. وقبل أن نستهل ترجمة البحث الخاص بتمرد كربلاء العثمانية، لا بد من إطلالة مهمة على أبعاد الخلفية التاريخية لهذا التمرد ومتابعته في ضوء المدونات التاريخية الشرقية والغربية.

= Norbeck, Sekandar & Edward, **The Luti, an Outcaste Group of Iran**, The Rice University Studies, 1975, Vol. 61, No. 2, pp. 1- 12.

العلاقة التجاذبية لعلماء الدين
مع السلطة القاجارية وانعكاسها على نشاط اللوتية

إن تتبع نشاط الجماعة اللوتية في فارس القاجارية من شأنه أن يبدد الكثير من التساؤلات التي طرحناها أعلاه ويكرس بالتالي أوجه التناظر بين نشاط كلتا الجماعتين سواء في إيران (القاجارية) أو العراق (العثماني). فقد كانت الجماعة اللوتية أشبه ما تكون بالجماعة السرية التي تورطت في بعض الأحيان بأعمال السطو والنهب لحسابها الخاص، ومثّلت في أحيان أخرى الذراع التنفيذية للسلطة الدينية[1]، إذ شرعت فور وفاة الشاه فتح علي شاه (ثاني شاهات فارس القاجاريين، حكم خلال المدة 1797 -1834)، بنهب أصفهان وتخزين مغانمها في مسجد جمعة أصفهان[2]، بل وأصبح زعيم هذه الجماعة المدعو رمضان شاه الزعيم الفعلي لهذه المدينة

---

(1) Algar, Hamid, **Religion and State in Iran 1785- 1906: The Role of the Ulama in the Qajar Period**, Berkeley & Los Angeles & London, University of California Press, 1969, p. 109.

(2) Algar, Op. Cit., pp. 109- 110; Fraser, J. Baillie, **Travels in Koordistan**, Mesopotamia, London, Richard Bentley, New Burlington Street, 1840, Vol. II, p. 283.

وضرب النقود باسمه[1]. أما الأدلة على تورط المجتهد محمد باقر الشفتي[2] فهي متناقضة؛ إذ ادّعى فريزر Fraser أن الأخير قد دعم

---

(1) Algar, Op. Cit., p. 110;

حيدر، خليل علي، **العمامة والصولجان: المرجعية الشيعية في إيران والعراق**، ط1، الكويت، دار قرطاس للنشر، 1997، ص123، وكذلك هـ رقم 34 في ص146. وذكر دي بود بأن رمضان شاه كان قد ضرب النقود الذهبية والفضية باسمه، انظر:

De Bode, C. A., **Travels in Luristan and Arabistan**, London, J. Madden and Co., 1845, Vol. I, p. 49.

(2) الشفتي: السيد محمد باقر ابن السيد محمد تقي الموسوي الرشتي حجة الإسلام (1766 أو 1767 – 1844)، ولد في قرية شفت بالقرب من رشت في إيران. قصد العتبات المقدسة في العراق في عام 1783 حيث درس على يد وحيد البهبهاني والشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثم عاد ليستقر في أصفهان. أثرى من بعد فقر مدقع وصار عظيم الثراء؛ إذ امتلك القرى والعقار والضياع في أصفهان ويزد وبروجرد وشيراز. حاز على أموال الخمس الهائلة من داخل إيران وخارجها بما في ذلك الهند. وضع رسالة في ضرورة مباشرة المجتهدين مهام الإمام الغائب في تنفيذ الأحكام والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقام بنفسه بمباشرة مهام القضاء والتنفيذ، حيث حكم على الكثيرين بالإعدام. وعلى الرغم من ذلك، أشاد الرحالة الروسي دي بود، الذي زار أصفهان في عام 1840 بتسامحه مع الأرمن المسيحيين في جلفا. أخفق الشاه في اجتذابه إلى طهران؛ إذ لم يكن يذهب لزيارة أحد ولم ينزل ضيفاً على أحد ولم يذهب للقاء الحاكم أبداً. اجتمع في الصلاة خلفه، في بعض الأيام، ما يصل إلى 22 ألفاً من المصلين. من كتبه «مطالع الأنوار»، ورسالة «تحفة الأبرار». انظر: التنكابني، الميرزا محمد بن سليمان، **قصص العلماء**: **ورسالة سبيل النجاة**، ط2 مزيدة ومصححة، ترجمة: الشيخ مالك وهبي، قم، منشورات ذوي القربى، 1429، ص238 -289؛ حيدر، المصدر السابق، ص301.

اللوتية[1]، بينما أشار فون تورناو Von Tornau، على النقيض من ذلك، بأنه سعى لكبح هؤلاء[2]. وطبقاً لناسخ التواريخ[3]، فقد وجه عبد الله خان أمين الدولة، آخر وزير في عهد فتح علي شاه، رسالة إلى العلماء، مذكراً إيّاهم بالاحترام الذي تمتعوا فيه خلال عهد فتح علي شاه، ومطالباً إياهم، في بادرة على الامتنان، بكبح جماح اللوتية في نهبهم المفرط. واستجابة لذلك، قام كل من محمد باقر الشفتي ومير محمد مهدي (إمام الجمعة) بإعطاء الإذن لتسليم عدد من قطاع الطرق إلى سلطان محمد ميرزا، إذ قطّعت أياديهم وأرجلهم. ولهذا بدا من المرجح أن كلّاً من أمين الدولة ومحمد باقر الشفتي لم يسعيا إلى إفساح المجال للنشاطات التخريبية للوتية إلا في إطار توافقها مع أغراضهما الخاصة. بمعنى أن جماعة اللوتية كانت مجرد أحد عناصر الاضطراب المصاحبة للفوضى الناجمة عن تغيير الحاكم. ولكن، في أصفهان كانت ثمة علاقات مستمرة ما بين اللوتية والسلطة الدينية العليا. فقد مثّل اللوتية القوة التي من الممكن تحريضها بالضد من الحكومة؛ إذ وفرت المساجد الملاذ لهم وأصبحت مساكن العلماء ملجأهم النهائي للاحتماء من الانتقام والقصاص[4].

---

(1) Fraser, Op. Cit., Vol. II, p. 283; Algar, Op. Cit., p. 110.

(2) Tornau, Von, Aus der neuesten Geschichte persiens: Die Jahre 1833 1835, **Journals of the Deutsche Morgenlaendische Gesellschaft**, Petersburg, 1848, Vol. II, p. 422; Algar, Op. Cit., pp. 109- 110.

(3) لسان الملك، ميرزا محمد تقي سبهر، **ناسخ التواريخ**، طهران، بدون ت، م1، ص302، مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 110.

(4) Algar, Op. Cit., p. 110.

ووقفت وراء استخدام محمد باقر الشفتي لجماعة اللوتية محاولة جلية هدفت إلى استعادة أصفهان منزلتها السابقة المتمثلة في مركزيتها الدينية والسياسية. فقد قُدّر لهذه المحاولة الاستمرار التي تدين في جزء كبير منها إلى حقيقة أن الصدام الرئيس بين العلماء والدولة لغاية عهد ناصر الدين شاه وقع في أصفهان بالذات. وعلى الرغم من قبول السلطة المركزية وممثليها لهذا الوضع على مضض إلا أن مناهضتهم لم تتوقف أبداً. وضمن هذا الاطار أيضاً، أخفقت المحاولة القاجارية لإحياء الدولة الصفوية. ومما له دلالة مهمة أن نجد النواب، المتحدرين من الصفويين، في أصفهان قد تورطوا سوية مع اللوتية ومحمد باقر الشفتي في أعمال الاضطرابات الحاصلة في عهد محمد شاه القاجاري[1].

ونتيجة لذلك أخفقت ادعاءات فرمانفرما في نهاية المطاف[2]، فحينما استولى منوچهر خان معتمد الدولة، المدعوم من عدد من الضباط البريطانيين، على أصفهان بالنيابة عن محمد شاه، كانت معارضة محمد باقر الشفتي تجاه إملاءات السلطة المدنية غير فاعلة[3]. ولما كان الأخير مجتهداً، وشخصيته مصونة، فقد توسعت

(1) Algar, Op. Cit., p. 110.

(2) كان حسين علي ميرزا فرمانفرما قد أعلن نفسه ملكاً باسم «علي شاه» على إثر الفوضى التي عمّت بعض المدن الإيرانية بعد وفاة فتح علي شاه. وكان المجتهد المعروف محمد باقر الشفتي من بين مؤيدي سلطته. انظر: حيدر، المصدر السابق، ص123.

(3) اعتماد السلطنة، ميرزا محمد حسن خان، **تاريخ منتظم ناصري**، طهران، 1300 ق/ 1883، م3، ص162؛ مقتبس في: =

دائرة حمايته لتشمل أمين الدولة؛ إذ آواه في منزله في بيد آباد، وتشفع له عند الشاه حتى أقرّ بعدم استمرار أمين الدولة في إحداث المشكلات سواء في مشهد أو في العتبات[1]. وعلى الرغم من ذلك، بقي في أصفهان، واستطاع، تحت حماية محمد باقر الشفتي، التصرف بحرية. ولهذا بعث أبو القاسم قائممقام رسالةً إلى محمد باقر الشفتي، عاتبه فيها على استمراره في تشجيع أمين الدولة، وألمح إلى الإبقاء على التحالف المعقود ما بين الشفتي وأمين الدولة واللوتية، وختم بمطالبة الشفتي بأن لا يعرقل العودة إلى حالة السلام: «أشيع وعلى نحوٍ متكرر خلال هذه المدة بعدم عدّ [أمين الدولة] ناشطاً وفاعلاً وفي الوقت نفسه لا يمكن عده خاملاً وكسولاً. وتعي فخامتكم على أفضل وجه مقدار ممتلكات أصفهان التي تعرضت للتدمير، وما سال من الدماء، وكم من أرواح حملتها ريح الفناء، سواء في الولاية [المدينة] أو في أماكن أخرى... وإذا ما تجاهل [أمين الدولة] رغباتنا، التي هي مجرد محرك للاهتمام برفاه الشعب، وسماحتنا تجاه شخصه، فإننا نرجو منك أن لا تسمح له بالانضواء تحت لوائكم»[2]. وفي نهاية المطاف، أرسل محمد شاه مبعوثاً من

Algar, Op. Cit., p. 111; Fraser, Op. Cit., Vol. II, p. 282.

(1) عباس إقبال، **حجة الإسلام حاج سيد محمد باقر شفتي**، يادكار، پنجم (1327 ش/ 1948 1949)، ص37؛ مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 111.

(2) محمد صادق حسيني، **مخزن الإنشا**، (تبريز 1274 ق/ 1857)، ص359؛ مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 111.

حاشيته الشاهنشاهية في شهر شوال 1251/ يناير- فبراير/ كانون الثاني - شباط 1836 إلى أصفهان لمرافقة أمين الدولة من المدينة[1]. وفي الوقت نفسه، أرسل عددٌ من اللوتية إلى طهران، حيث عوقبوا بقطع أياديهم[2].

وبقي محمد باقر الشفتي مستمراً في معارضته لمحمد شاه وممثليه. ففي عام 1253 /1837- 1838 أدار بمعية مير محمد مهدي إمام الجمعة تمرداً مفتوحاً ضد حاكم أصفهان خسرو خان، الذي أبدى نفوره من القبول بتدخل العلماء بشؤون المدينة[3]؛ إذ رفض الأخير القبول بمناشدات مير محمد مهدي نيابةً عن التاجر آغا شفيع نجف آبادي، الذي ماطل في دفع الضرائب المستحقة عليه. وكان هذا الرفض قد وفّر الذريعة الفورية للتمرد. ولهذا لجأ خسرو خان إلى قصره، وأُرسل فروخ خان كاشي غفاري من طهران للتفاوض بين الحاكم والعلماء؛ إلا أنه استقبل بحشد من أهالي المدينة على أبواب أصفهان أجبروه على الإقامة في منزل إمام الجمعة والإذعان بطرد

(1) إقبال، المصدر السابق، ص39؛ مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 111.

(2) لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص329؛ مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 111.

(3) **اعتماد السلطنة**، المصدر السابق، م3، ص169؛ مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 112;
لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص358؛ ووقعت تلك الأحداث في 1254/ 1838- 1839. وبدا في وقت لاحق أن محمد باقر الشفتي قد دخل في نزاع مع مير محمد مهدي. مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 112.

خسرو خان[1]، الأمر الذي أدى إلى بقاء فروخ خان حاكماً مؤقتاً حتى تعيين فضل علي خان.

لقد حفّز هذا النجاح محمد باقر الشفتي وحلفاءه ومن بينهم اللوتية في توسيع نشاطاتهم. ففي جنح الليل أخذ اللوتية بالخروج من مخابئهم لينغمسوا في أعمال قتلٍ ونهبٍ واغتصاب من دون أن تطالهم العقوبة. «وفي اليوم التالي يغسلون سيوفهم، المضرجة باللون الأحمر من دماء المسلمين، بخزانات مياه المساجد»[2]. وفي النهاية، أرسل في عام 1255هـ/ 1839- 1840 جيشٌ تحت قيادة منوچهر خان معتمد الدولة ليضع نهاية حاسمة للفوضى في أصفهان[3]. وعلى إثرها أعدم أكثر من 150 من اللوتية، وتلقى عدد مماثل عقوبة مماثلة في أردبيل[4]. أما الآخرون الذين التجأوا إلى قم فقد وعدوا بضمان سلامتهم إذا ما استسلموا؛ لكن بمجرد خروجهم من الحرم المقدس نالوا نصيبهم من الذبح[5].

---

(1) لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص358؛ مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 112.

(2) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(3) اعتماد السلطنة، المصدر السابق، م3، ص172؛ مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 112.

(4) المصدر السابق، ص173؛ مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 112.

(5) Algar, Op. Cit., p. 112.
تذكر الباحثة فانيسا مارتن بأن أحد زعماء اللوتية المدعو الحاج غلام حسين قد عُذِب حتى الموت عن طريق اقتلاع أسنانه وغرزها بجمجمته. انظر:
= No. 18, 6.5.1840, FO 60/73, and No. 42, 24.8.1840, FO 60/74. in:

وفي تلك الظروف، قاد محمد شاه جيشه بنفسه متوجهاً إلى أصفهان، والتقى بأبرز معارضيه، محمد باقر الشفتي[1]. واحتوى كتاب «قصص العلماء» على رواية في غاية الأهمية لهذا اللقاء؛ فعلى الرغم من أن مجمل الحملة جاءت من أجل كسر شوكة الشفتي، إذ فُرق أتباعة بالقوة، إلا أن الأخير بقي محافظاً على موقف التغطرس والاحتقار تجاه الشاه محمد، وقد أكد أحد الشهود ذلك؛ فقد امتطى الشفتي بغلاً، وذهب إلى قصر هفت دشت، حيث اتخذ الشاه منه محلاً لإقامته. وتوجه أمامه العربي علي نقي، وتلا القرآن. وفي أثناء الوصول للقصر، بلغ بقراءته، سواء عن قصد أم مصادفة، الآية الآتية من سورة النمل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾[2][3]. وتجمهر الجنود ورجال

Martin, Op. Cit., p.120. =

(1) وطبقاً لما أورده غوبينو فإن الشاه محمداً كان قد أبعد أثناء تلك الظروف المجتهد من أصفهان. ومن المحتمل أن المقصود هو محمد باقر الشفتي؛ إلا أن المصادر الفارسية لم تشر إلى مثل ذلك الإبعاد، وبدا أنها مستبعدة لذلك، على الرغم من مرارة النزاع بين الرجلين، إذ تجرأ العاهل على ارتكاب مثل هذا التدنيس، على الأقل، في وقت مبكر للغاية من مطلع القرن. انظر:

Gobineau, A. de, **Trois Ans en Asie**, (Paris, 1859), p. 315, in: Algar, Op. Cit., p. 112;

وكذلك انظر:

Martin, Op. Cit., p.121.

(2) سورة النمل، الآية 18.

(3) المعنى الضمني هو أن الشاه محمداً، ونتيجة لكونه ضئيل الأهمية كالنملة، عليه التراجع بحذر من الاقتراب على غرار الجليل سليمان. انظر:

Algar, Op. Cit., p. 113.

حاشية القصر حول شخصيته المقدسة، إلا أن حشد جماهير المدينة كان كثيفاً، ومع ذلك لم يكونوا قادرين على الوصول إليه ولهذا اكتفوا بتقبيل حوافر بغله[1].

وعلى الرغم من أن الإمارات الخارجية لمحمد باقر الشفتي بقيت ذات مقدرة مهيبة، إلا أن حيوية حاكمية منوچهر خان في أصفهان كانت قد جردت تلك المقدرة من الكثير من واقعها؛ إذ وجد رحالة في أثناء زيارة أصفهان في عام 1840 أن سطوة اللوتية قد تحطمت، وأن حي بيدآباد في أصفهان الذي أقام به محمد باقر الشفتي لم يعد ملاذاً آمناً[2]. وعلى الرغم من ذلك فقد وجد محمد

---

(1) التنكابني، محمد بن سليمان، **قصص العلماء**، طهران، 1304 ق/ 1887، ص106. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 113;

ينظر كذلك: التنكابني، النسخة المترجمة، ص251 -252.

(2) De Bode, Op. Cit., Vol. I, pp. 49- 51.

وأشار دي بود على احتواء الشرق عموماً على ملاذات خاصة؛ إذ كانت تلك الأحياء أو المحلات بمثابة ملاذ مقدس Sacred Asylum. انظر المصدر نفسه، ص69- 70. ومن المفيد هنا الإشارة لما ذكرته الباحثة فانيسا مارتن، «بأن الشاه محمداً كان قد أمر محمد باقر الشفتي بالرحيل إلى كربلاء، على اعتبار أن مثل تلك الرحلة القسرية هي وسيلة لإلحاق العار برجال الدين عبر التسبب بإيقاع تحمل نفقات غير مخطط لها على عاتقهم. إلا أن المجتمع الأصفهاني استهل شكواه واعتراضه بأعداد كبيرة وبعدة طرق كان من ضمنها ذهاب ما يقرب من سبعة أو ثمانية الآف فرد إلى منزل الشفتي لإبداء التضامن. وتظاهرت بضعة الآف من النساء في الساحة الرئيسة أمام الشاه للرجاء بعدم نفي الشفتي، وحينما رفض، قصدن منزل الشفتي وتوسلن به بعدم الذهاب». انظر:

Martin, Op. Cit., p.121.

شاه في شهر شوال 1258هـ/ نوفمبر ـ ديسمبر/ تشرين الثاني ـ كانون الأول 1842، أن من الضروري القدوم إلى أصفهان وتنظيم شؤونها مرة أخرى، وكان الشفتي قد تقدم به العمر، وحينما سمع بقرع طبول موكب الشاه محمد يقترب من منزله، رفع يديه إلى الأعلى متضرعاً، وقال: «إلهي! لا ترضى بذلة أولاد فاطمة أكثر من ذلك!». وبعد مدة قصيرة توفي، لتحرم أصفهان من حاكمها الروحي والزمني[1].

وهكذا انتهت سيرة محمد باقر الشفتي؛ وغدا من الجلي تجسد القوة المهيبة في شخص المجتهد. ففي واقع الأمر، وكما ألمحنا أعلاه، حدث تغير أو تطور في دوافعه، وغدا اهتمامه بسطوة الشخصية بذاتها أكبر من حرصه على أداء الفرائض الدينية، وبالتالي أصبح من الواضح تضاؤل موقفه في كل الأحوال نتيجة لذلك. وفي الوقت الذي تغاضى فيه عن إراقة الدماء وأعمال النهب، إلا أنه بقي موضع احترام وتقدير. وتمّت ملاحظة هذا الولاء التام لشخص المجتهد خلال الحرب الفارسية الروسية الثانية (1826-1828)، إذ قُدِّر للعلماء إثارة واستخدام العواطف الدينية لأغراض شخصية بل وحتى خارجة على الشرع والسليقة. ونتيجة لتنامي العداوة بين العلماء والدولة، فقد استغل العلماء، على نحوٍ متزايد، هذا المصدر من السلطة حتى وجدوا ضالتهم في التطبيق العظيم

(1) التنكابني، المصدر السابق، ص123؛ اعتماد السلطنة، المصدر السابق، م3، ص183. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 113;

ينظر كذلك: التنكابني، النسخة المترجمة، ص288.

الذي جرى خلال الثورة الدستورية أو ما تعرف بالثورة المشروطية في عام 1906 [1].

وعلى الرغم من زيارة الشاه لأصفهان وما رافقها من أحداث، وكما عرضنا أعلاه، إلا أن تلك الزيارة، وكما بينت الباحثة فانيسا مارتن في ثنايا معلوماتها الوثائقية، لم تسفر عن تقييد أو كسر لشوكة العلماء واللوتية على نحوٍ كبير؛ فلم يذهب الشفتي إلى كربلاء حينما أمره الشاه بالرحيل إليها. وفضلاً عن ذلك، وتماشياً مع نهج الاقتصاص من الخارجين عن القانون من اللوتية، أدى اعتقال الزعيم اللوتي سيىء الصيت، الذي اختبأ محتمياً بمحمد باقر الشفتي في أثناء زيارة الشاه، نزولاً عند أمر داروغه (المسؤول عن القانون والنظام هناك)، إلى احتجاج الشفتي على ذلك، مما اضطر داروغه للسماح لهذا اللوتي بالمغادرة. أما بقية اللوتية فقد أمر الشاه بإعدامهم دون محاكمة؛ كما تمّ ضبط المئات، ونفذ الإعدام بحق 270 منهم، وسجن ما يزيد عن 400 فرد، بل تمّ الاقتصاص من زعيمهم الحاج غلام حسين بإعدامه[2].

---

(1) Algar, Op. Cit., pp. 113- 114.

(2) Martin, Op. Cit., p.121.

وعلى الرغم من الصفات الجرمية التي اتّصف بها طيف واسع من اللوتية، إلا أن بعض الباحثين كانوا قد أشاروا إلى أن اللوتية، وبحلول مطلع القرن العشرين، كانوا قد أصبحوا، وعلى نطاق واسع، أكثر احتراماً. إذ عملوا في أعمال متدنية المكانة على غرار الباعة المتجولين أو البستانيين، لكن في الوقت نفسه تجنبوا الأعمال التي تعد مهينة على غرار العتّال أو المدلك في الحمامات العامة. كما ذكر أنّ لهم أنواعاً خاصة من الملابس، إذ انتعلوا =

وطبقاً لأحد المصادر[1] كان الصراع في أصفهان مريراً، واندرجت المحاولات بين تسميم الشفتي أو اغتياله. ولم يختزل الصراع بمجرد السيطرة على أصفهان، فقد أثرت جوانب أخرى في عهد محمد شاه. وكانت من بين أبرز تلك الجوانب «قضية كربلاء» التي جعلت إيران على شفير الحرب. فقد سعى فتح علي شاه إلى تسوية الخلافات مع الشفتي، وسمح لنفسه بالاندفاع للحرب بفعل ضغوطات دينية. وكان محمد شاه على النقيض من ذلك، إذ أبدى معارضته الصريحة للشفتي، بل والتزم أيضاً بمعارضة محاولاته الرامية إلى دفع إيران إلى شفير حرب أخرى تحت ذرائع دينية[2].

= الخف أو ما يعرف بـ (الكيوة)، وحملوا منديل حرير كبيراً، وتدلى من جيوبهم سلسلة طويلة حسنة المظهر، مع كوب شرب نحاسي صغير وسكينة. انظر:

A. Fathi, The Role of the Rebels in the Constitutional Movement in Iran, International **Journal of Middle Eastern Studies**, 10, 1979, No. 1, p. 58; Martin, Op. Cit., p.128.

(1) التنكابني، المصدر السابق، ص124. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 114;

ينظر كذلك: التنكابني، النسخة المترجمة، ص288.

(2) Algar, Op. Cit., p. 114.

حادثة كربلاء

في سياق الاستجابة السياسية الدينية القاجارية واستمرار العلاقة المتوترة بين العلماء والسلطة

كانت كربلاء، لمدة من الزمن، وبحكم قداستها، مكاناً للجوء اللصوص وقطاع الطرق من إيران والعراق العربي على حد سواء[1]. إذ قُدِّر لعدد من هؤلاء مزاولة النهب دون خوف، وكان تدفق الزوار من إيران قد منحهم مغانم جديدة على نحوٍ دائم. فقد تعرض السيد المجتهد إبراهيم القزويني، على سبيل المثال، لعملية سلب مال بلغت أربعة آلاف قران[2]. ولهذا واجهت الحكومة العثمانية مشكلة مشابهة لتلك التي واجهها محمد شاه في أصفهان، لكن إحداها انطوت على التعقيد بسبب حقيقة مفادها أن غالبية سكان كربلاء من الإيرانيين، وأن أية محاولة للتعامل معها ستتسبب في إثارة ردّة فعل إيرانية خطيرة. وكان وجود الجيب الإيراني، المستقل ذاتياً، موضع تهديد داخل الأراضي العثمانية.

---

(1) لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص426؛ مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 114.

(2) عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، بغداد (1953-1954)، م6، ص288.

فقد حاول الولاة المتعاقبين إخضاع كربلاء، ولم يفضِ حصار داود باشا في عام 1239هـ/ 1824 إلا على تأكيد دفع الضرائب المتأخرة[1]. وفي النهاية قرر نجيب باشا في شهر ذي القعدة 1258هـ/ ديسمبر/ كانون الاول 1842 يناير/ كانون الثاني 1843، اتخاذ المزيد من التدابير الفاعلة، فخلال هذه المدة تمّ إهمال اسم السلطان من خطبة الجمعة، وكان إبراهيم الزعفراني، اللوتي من أصول إيرانية[2]، قد أحكم

---

(1) المصدر نفسه، ص289.

(2) تباينت المصادر في إيراد الانتماء القومي للزعيم الزعفراني؛ فيذكر الشيخ كاشف الغطاء، في كتابه العبقات العنبرية، بأن إبراهيم الزعفراني من أصول هاشمية، ولم يشر إلى أصله الأعجمي، إذ ذكر: «أسرته آل الزعفراني من الأسر الهاشمية الرضوية تولى بعض أفرادها منصب (سدانة) الحضرة الحسينية في القرن الثاني عشر حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي. انظر: كاشف الغطاء، محمد الحسين، **العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: تاريخ المرجعية الدينية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ط1، تحقيق: د. جودت القزويني، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، 1998، ص307، هـ3. في حين أشار سلمان هادي آل الطعمة في كتابه الشهير «تراث كربلاء»، «أنّ إبراهيم الزعفراني، من أصل مختلط إيراني عربي»، انظر: آل الطعمة، سلمان هادي، **تراث كربلاء**، ط 3، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة من إصدارات بغداد عاصمة الثقافة العربية، 2013، ص396. وأشارت مصادر أخرى صراحةً إلى أصله الفارسي، إذ ذكر عبد الرزاق الحسني ما نصه: «السيد إبراهيم الزعفراني، رجل أصله عجمي، وترأس على أوباشها وسفهائها [في كربلاء]»، انظر: الحسني، **تسخير كربلاء في واقعة الوالي**...، ص19، أما لوريمر في كتابه الشهير **دليل الخليج** فأشار إلى ما نصه: «وكان من أكثر رؤسائهم [أي زعماء اليارمازية= اللوتية] قوة وبطشاً في عام 1843 شخص يدعى إبراهيم الزعفراني وهو فارسي مستعرب»، انظر: لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج (القسم التاريخي)، =

سيطرته الكاملة على المدينة[1]. وتجلت غاية نجيب باشا في مهاجمة كربلاء نحو إعادة الأخيرة إلى حظيرة سيطرة الحكومة العثمانية الفاعلة. وخلال هذا الوقت، سعى روبرت تايلر، القنصل البريطاني في بغداد (1841 -1843)، إلى إبداء التعاون مع مجتهدي كربلاء بهدف كبح اللوتية[2]؛ إذ لم يرتبط هؤلاء المجتهدون بأي رابط مع قطاع الطرق الذين بادروا بتهديدهم. وعلى الرغم من ذلك، فقد بيّنت نشاطات اللوتية أنها جاءت لضمان بعض الاستقلالية لكربلاء. وفضلاً عن ذلك، حينما هجم ما عُدَّ أنه جيشٌ سُني على الأماكن المقدسة الشيعية في كربلاء، لم تكن ردة فعل العلماء الشيعة سوى باعث فطري للمقاومة. ففي 11 من شهر ذي الحجة 1258/ 13 يناير/ كانون الثاني 1843 دخلت قوات نجيب باشا كربلاء لتتلقى النيران من الأهالي. ولتعقبها مذبحة عامة، طالت حتى أولئك الذين اتخذوا

ترجمة: قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، الدوحة، مطابع علي بن علي، د. ت.، ج4، ص1986. أما الباحث توم نيوفنهويس فقد أشار في دراسته الأكاديمية إلى أن والد إبراهيم الزعفراني هو إيراني من باكو كان قد تزوج من عربية في كربلاء واستقر بها. انظر:

Nieuwenhuis, Tom, **Politics and Society in Early Modern Iraq: Mamluk Pashas, Tribal Shayks and Local Rule between 1802 and 1831**, Boston/ London, Martinus Nijhoff Publishers The Hague, 1982, p. 86.

(1) See Najīb Pasha's **letter to the Iranian consul in Baghdad, attached in translation to Sheil's dispatch** of March 9, 1843 (F.O. 60/ 96);

العزاوي، المصدر السابق، م7، ص65 هامش رقم 1؛ مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 114.

(2) Report date February 16, 1843, sent to **Sheil in Tehran** (F.O. 60/ 96).

ملاذهم في الضريح المقدس نفسه[1]. وتراوحت أعداد القتلى ما بين 4 آلاف إلى 18 ألف فرد[2].

ووصلت هذه الأنباء إلى طهران في مطلع شهر محرم 1259هـ/ فبراير ـ مارس/ شباط ـ آذار 1843، إلا أن الوزير حاجي ميرزا آقاسي أخفاها حتى نهاية عاشوراء[3]. فقد كان الشاه محمد مريضاً في ذلك الوقت، ومن المحتمل أن وزيره لم يرغب في إعلامه حتى معافاته[4]. وسيغدو الأمر أكثر ترجيحاً في كون حاجي ميرزا آقاسي قد تردد في إطلاق معلومات تحريضية كهذه في الوقت الذي كانت فيه المشاعر

---

(1) لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص327؛ العزاوي، المصدر السابق، م7، ص66. وإنها لحقيقة جديرة بالملاحظة، أن لا يوجد تفسير فوري يطرح نفسه، ذلك أن بيوت الشيخية لم تتعرض للهجوم، مثلما وجد جميع أولئك الذين لاذوا بمنزل السيد كاظم الرشتي، وخليفته الشيخ أحمد الإحسائي بوصفه زعيماً للطائفة، إنهم بمأمن. ومن المعتقد بأن نجيب باشا قد فرّق ما بين الشيخيين وغير الشيخيين، وحمّل الأخيرين مسؤولية مقاومة كربلاء للسيطرة العثمانية؛ إلا إن إبراهيم الزعفراني كان شيخياً. انظر: العزاوي، المصدر السابق، م7، ص65، هامش رقم 1. مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 115.

(2) العزاوي، المصدر نفسه، م7، ص66؛ يذكر 4000 فرد؛ وبلغ العدد في تقرير شاهد عيان إنكليزي اقتبسه شل Sheil في الرسالة المؤرخة في 3 آذار 1843 بـ5000 فرد؛ وبلغ في كتاب ناسخ التواريخ، م1، ص328، 9000 فرد؛ وأشارت شائعات أخرى تناولها شل ما بين 15000 إلى 18000 فرد. مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 115.

(3) Watson, Robert Grant, **A History of Persia: From The beginning of the nineteenth century to the year 1858** (The Kajar Dynasty), London, Smith, Elder and Co., 1866, p. 340 -341.

(4) العزاوي، المصدر نفسه، م7، ص68.

المعادية للسُّنة مستثارة على نحوٍ غير مألوف. وعلى الرغم من ذلك، كان تأجيج السخط أمراً لا مناص منه، وأفضل من تزعم ذلك السخط هو الشفتي؛ إذ وجد نفسه بين ضغطين متعارضين: فمن جهة طالب العلماء، بزعامته، بضرورة محاربة السلطنة العثمانية، في حين حثَّت كل من روسيا وبريطانيا على ضرورة اللجوء إلى تسوية سلمية من جهة أخرى. وحتى لو كان الأمر ممكناً، لكان من غير المرجّح أن يحاول حاجي ميرزا آقاسي كبح ردّ الفعل الناجم عن مجزرة كربلاء، فثمة تحول مؤقت نحو هدف آخر من الكراهية الدينية كانت الحكومة مسؤولة عنه، لقي ترحيباً واسعاً[1]. ومن ناحية أخرى، أعلَم الشفتي في شهر إبريل/ نيسان 1843 السفير الروسي في طهران المدعو كونت ميدم Count Medem بأنه سيبعث الجيش إلى بغداد، «مهما كانت نيات الشاه»[2]. وكانت هذه الكلمات تنذر بنذير مشؤوم، إذ إنها أعادت ذكريات وقائع الحرب الفارسية الروسية الثانية. فلم

---

(1) حققت الحملات على هيرات غرضاً مشابهاً إلى حدٍّ ما. فقد كتب ستيوارت Stuart في 26 إبريل/ نيسان 1836: «لقد سعى الشاه إلى بذل اهتمام بالمشاعر الانفعالية والتعصبية بالضدّ من السُّنة، التي تكون في هذا الموسم [شهر محرم] مستيقظة على نحوٍ دائم. ففي هذا الصباح أراد ضباط الثكنة العسكرية مرافقة قهرمان Kuhurman [كذا] ميرزا إلى المسجد الرئيس حيث كان حاجي إبراهيم يعظ بالحرب الدينية بالضد من الطائفة العدائية؛ إذ تمت الإشارة إلى استعباد عدد من الشيعة من الأفغان والتركمان، وتمّ حثّ جميع الفرس للزحف، بدون أجر، لكن من المؤكّد مقابل المكافأة الأبدية، ضد أعداء دينهم وبلدهم». انظر:
Stuart, W. K., **Journal of Residence in Northern Persia and the Adjacent Provinces of Turkey**, London, 1854, p. 296.

(2) A. Denis, «Affaire du Kerbela,» **Revue de l'Orient**, I (1843), 139.

يسعَ ميرزا آقاسي في نهج الإذعان لضغط رجال الدين، وكان من الصعوبة بمكان لديه أن يتمنى مآلاً مشابهاً لتحريض آغا سيد محمد في عام 1826 [1]. ولهذا قام بالإعداد لشن هجوم ظاهري على بغداد بغية استرضاء المشاعر الشعبية بزعامة العلماء، وفي الوقت ذاته تجنب أي التزام يؤدي للدخول في حرب[2]. فقد أفاد السفير البريطاني شل Sheil [3] قائلًا: «بدا لي أن سلطة الحكومة، بتوافقها مع الجماعة الدينية، قد أثارت هياجاً عاماً في طول البلاد وعرضها من خلال المطالبة بالحرب الدينية على تركيا [السلطنة العثمانية]»، لكنه توصل إلى استنتاج، بحلول 29 مارس/ آذار، مفاده بأن «الحاج [يقصد الشفتي] ميّال إلى تجنّب الأعمال القتالية»[4]. وحينما هدأت الأوضاع، أصبح بالإمكان التفاوض على الشروط مع السلطنة العثمانية في أرضروم بمشاركة الحكومتين البريطانية والروسية[5].

---

(1) يقصد بذلك إصرار آغا سيد محمد على إعلان الجهاد ضد الروس خلال الحرب الفارسية الروسية الثانية (1826ـ 1828). انظر:

Algar, Op. Cit., p. 216.

(2) Holmes, William Richard, **Sketches on the Shore of the Caspian**, London, Richard Bentley, New Burlington Street, 1845, pp. 361- 362; Watson, Op. Cit., p. 342.

(3) يقصد الفريق Lieutenant - Colonel السير جستن شل Sir Justin Sheil (1803-1871)، أصبح مندوب المفوضية في طهران منذ شهر فبراير/ شباط 1836، ورئيس بعثة بلاد فارس خلال المدة (1839 -1844)، ومبعوثاً فوق العادة ووزيراً مفوّضاً خلال المدة (1844 -1854).

(4) Dispatches in F.O. 60/ 96.

(5) لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص329؛ مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 116.

وفي وقت مبكر، وتحديداً في عام 1216هـ/ 1802 أوقع الوهابيون النهب نفسه في كربلاء، وقتلوا نحو ألفي فرد، وزعموا بأنهم طحنوا القهوة على ضريح العباس بن علي[1]. وبصرف النظر عن تدمير الضريح، الذي كان وفقاً للأعراف الوهابية وثنياً، هدفت الغزوة الوهابية اللاحقة على العراق بالأساس إلى الانتقام لمصرع الأمير عبد العزيز آل سعود في الدرعيّة في عام 1803 على يد أحد الأفغانيين المقيمين في كربلاء[2]. ولم تكن مشاعر الغضب هنا مثمرة لأنها لم تنتج ردة فعل في إيران مقارنةً مع تلك التي أثارها نجيب باشا بعد أربعين عاماً. وفي الوقت الذي احتج فيه فتح علي شاه لدى الحكومة العثمانية[3]، غير أنه

---

(1) العزاوي، المصدر السابق، م6، ص144؛ التنكابني، المصدر السابق، ص92. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 116;

ينظر كذلك: التنكابني، النسخة المترجمة، ص225؛ البصري، عثمان بن سند الوائلي البصري، **مطالع السعود**: تاريخ العراق من سنة 1188 إلى سنة 1242هـ/ 1774 -1826، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي، الموصل، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، 1991، ص241.

(2) العزاوي، المصدر السابق، م6، ص160. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 116 ;

تضاربت الروايات بشأن قاتل عبد العزيز آل سعود، إذ ذكرت إحدى الروايات إنه أفغاني الأصل واسمه «ملا عثمان» ومن سكنة بغداد، وفي رواية أخرى أنه من أهل كربلاء وأنه كان فيها في أثناء غزو الوهابيين لها وشهد بأم عينيه كيف ذبحوا زوجته وأطفاله فأقسم على الانتقام. انظر: الوردي، المصدر السابق، ج1، 1969، (من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر)، ص203 -204.

(3) لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص67؛ مقتبس في:

لم يُدوَّن ما يُثبت أنّ العلماء كانوا قد حثوه على انتهاج إجراء حربي؛ فالعدو لم يكن مألوفاً[1]، أما في عهد الوالي نجيب باشا، فقد كانت مشاعر العداء التقليدية تجاه السُّنة مستيقظة. ومن المحتمل، فضلاً عن ذلك، أن رحبَ محمد باقر الشفتي باكتشاف ميدان آخر جعله في نزاع مع الحكومة[2].

ولم يكن الشفتي وحيداً في خضم هذا النزاع؛ فعلى الرغم من عدم تمتعه بالمنزلة والمكانة التي حازها كل من الشيخ مرتضى الأنصاري وميرزا حسن شيرازي في وقت لاحق، بوصفهما المجتهدين الأبرزين في زمانه، إلا أنه كان ذا تأثير واسع بين أوساط العلماء، حيث سعى العديد منهم لنيل ما يعرف بالإجازة (إجازة الاجتهاد) منه[3]. وكانت قزوين، على سبيل المثال، من أبرز تجليات

= Algar, Op. Cit., p. 117.

(1) إذ أقدم بعض الشيعة إلى مقارنة الإغارة الوهابية بالاستشهاد المأساوي للإمام الحسين (انظر: إبراهيم الوائلي، **الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر**، بغداد، مطبعة العاني، 1381 ق/ 1961 -1962، ص123)، في حين اعتبر آخرين ذلك عقاباً مستحقاً للإثم الذي حل بكربلاء نتيجة لسقوطها. إذ كتب أحد المؤرخين قائلاً: «سيغدو ضرورة لدى الرب... أن تُطهر التربة المقدسة بطرف سيف الإرهاب المثير الحاد للبربري سعود». انظر:

(Sir Harford Jones Brydges, **The Dynasty of the Kajars**, London, 1833, pp. 149- 150).

مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 117.

(2) Algar, Op. Cit., p. 117.

(3) A. Sepsis, «Quelques mots sur l'état religieux actuel de la Perse,» **Revue de l'Orient**, III (1844), 99. =

ذلك التأثير؛ إذ قضى المجتهد السيد محمد باقر القزويني في أثناء عودته من دراسته في العتبات بعض الوقت مع الشفتي في أصفهان قبل أن يستقر في قزوين. ومن هناك شجع سكان المدينة على طرد الحاكم الغاشم[1]، ليتم نفيه على إثرها على يد محمد شاه إلى النجف جراء فعلته تلك. ونتيجة لتدخل الشيخ مرتضى الأنصاري ووساطته اقتنع الشاه بالعدول والسماح له بالعودة، إلا أنه أصر مرة أخرى على التدخل في الشؤون العامة. وأشار مؤلف كتاب «قصص العلماء» محمد بن سليمان التنكابني إلى القول: «حينما منعته من التصرف في أمر [الديوان] أجاب: عندما أردت الرجوع من عند حجة الإسلام سيد محمد باقر كتب أوصاني: لا تترك السعي في حوائج المسلمين والمؤمنين. واسعَ غاية السعي في قضاء وإنجاح أمور المسلمين. فقد عقد الشيخ الكليني [يقصد محمد بن يعقوب الكليني ثقة الإسلام، ت 329هـ/ 941م] باباً في كتاب أصول الكافي في الاهتمام بأمور المسلمين، وذكر في هذا الباب أخباراً كثيرة عن الأئمة الأطهار، ولذا لا تعفِ نفسك لحظة من حماية الضعفاء والفقراء»[2].

وفي الوقت الذي سمح فيه لمحمد باقر القزويني بالعودة إلى

مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 117.

(1) يقصد مجد الدولة حاكم قزوين لما عُرف عنه من تعديات على السكان. انظر: التنكابني، النسخة المترجمة، ص116.

(2) التنكابني، المصدر السابق، ص48-50. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 117;

ينظر كذلك: التنكابني، النسخة المترجمة، ص116.

قزوين، كان المجتهد قد طُرد من كرمان وقد منعه محمد شاه من العودة على نحوٍ دائم هناك؛ إذ قام ملا علي أكبر، إمام جمعة كرمان، وتحت ذريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالمداومة على تعكير حياة المدينة وإبداء العداء ولا سيما تجاه الشيخيين[1]. ولهذا أُحضر مخفوراً إلى طهران، ومن هناك أرسل إلى مشهد حيث بقي حتى فارق الحياة[2].

يمكن أن نعد حدوث هذه الاضطرابات نتيجةً طبيعية لطموح محمد باقر الشفتي والتنافس التقليدي بين العلماء وحكام الأقاليم، وكانت من أكثر مظاهر الكراهية الدينية صراحةً وتهديداً تجاه الملكية في العاصمة هي ما استحثتها سياسة حاجي ميرزا آقاسي على نحوٍ كبير؛ ونجم ذلك جزئياً بفعل نوازعه وميوله الصوفية. إذ يبدو أنه قد تعمد تشجيع العداوة تجاه العلماء، وكما لو أنه سعى للانتقام لمقتل الدراويش على يد العلماء. «فقد انصبت سياسة رئيس الوزارء، وفيما يتعلق بالملالي الذين مقتهم، على قمعهم بكل الوسائل المتاحة»[3]. وكان من الطبيعي أن يوجّه القدر الأكبر من هذا العداء تجاه محمد

---

(1) علي محمد كشميري، **نجوم السماء**، (لكنو، 1303ق/ 1885 -1886، ص419. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 118.

(2) أحمد علي خان وزيري، **تاريخ كرمان**، تحرير: ح. فرمانفرمائيان، طهران، (1340ش/ 1962م)، ص387. مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 118.

(3) Sepsis, Op. Cit., p. 105.

مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 118.

باقر الشفتي، بل وأظهر نفسه بأنه غير متقبل كلياً لآرائه وتدخلاته[1]. واصطدم أيضاً مع الحاج الملا محمد تقي البرغاني (الذي لقب بالشهيد الثالث على إثر اغتياله على يد أحد البابيين)، وحاول تجريده من أراضيه بل وحتى طرده من إيران[2]. ولهذا توجب أن تكون ردة فعل العلماء الصريحة أمراً طبيعياً[3].

وكتب ستيوارت Stuart [4] في مؤلفه بتاريخ 11 يناير/ كانون الثاني 1836: «في الذكرى السنوية لمقتل علي؛ ساعد الصيام الطويل في شهر رمضان على خلق قدر كبير من الهياج الديني... وكان الصوفيون مرعوبين. ومع بدء الصيام أرسل بعض الجنود إلى المسجد الرئيس لغرض افتعال ضجة هناك، ومنع الإصغاء للعقائد المناهضة للصوفية التي اضطلع بها إمام الجمعة. وعلى الرغم من كون الإمام بطبيعته قد اتّصف بالضعف والخنوع والسخط، لكنه رغب وبحصافة أن تبقى الطائفة السُّنية هاجعة. ليعقبه، على الرغم من ذلك، تسليحه لهم بالهراوات، ونال الجنود الضرب المبرح في وقت لاحق بسبب محاولتهم الدخول إلى المسجد. وقبل بضعة

(1) Ibid., p. 104.

(2) التنكابني، المصدر السابق، ص20-21. مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 118;
ينظر كذلك: التنكابني، النسخة المترجمة، ص45 -49، وفي ثنايا هذه النسخة أشير بأن عدداً من البابيين هم من قتلوا الشهيد الثالث وليس فرداً واحداً، انظر: ص94 -95.

(3) Algar, Op. Cit., p. 118.

(4) يقصد ستيوارت Stuart مؤلف كتاب **Journal of Residence in Northern Persia**...، الذي ورد آنفاً في الهوامش.

أيام شجب إمام الجمعة، وبحضور الحاج ميرزا آقاسي، الصوفيين على منبره، ناعتاً إياهم أبناء المحروقين والأمهات المدنسات، وأوصى بإبادتهم على الفور، وأنذرهم من اللعنة المستقبلية. وفي أثناء ذلك أرسل الحاج ميرزا آقاسي رسالة إلى الإمام يسأله ويستهجن فيها على وجه الخصوص البعض ممن لا يؤمن بالقرآن. وأجاب كبير الكهنة [كذا][1] بعدم وجود وقت لإخباره، لكنه سيكتب ويشرح ذلك. لقد كان الحاج الأسد [كذا][2] خائفاً للغاية لدرجة أنّه تخلى عن بيته وشرع ينام في المهجع، تحت كنف تلميذه الملكي، وقد جعلت منه صوفيته الفعلية أو المفترضة مكروهاً لدى أنصاره»[3].

ووصل بقية العلماء من الأقاليم للمشاركة في التحريض ضد محمد شاه، إذ نوّه ستيوارت إلى مجيء الداعية الحاج إبراهيم، الذي قضى نشاطه المحموم بالتشاجر مع إمام الجمعة[4]. وجاء آغا سيد محمد مهدي، إمام جمعة أصفهان إلى طهران، وزعم أن يهود المدينة قد تصرفوا خلاف شروط أهل الذمة (وهي الحماية التعاقدية لغير المسلمين)، وأصدر أوامره بقطع إمدادات المياه عليهم، إلا أن محمد شاه أبطل أوامره تلك، واحتجاجاً على ذلك غادر المدينة

---

(1) ربما جاءت لفظة كبير الكهنة chief priest تشبيهاً أو تهكماً. انظر: Stuart, Op. Cit., p. 220.

(2) وردت هكذا في النص الأصلي lion pilgrim. انظر: Stuart, Op. Cit., p. 220.

(3) Stuart, Op. Cit., pp. 219- 220.

(4) Ibid., p. 245.

وقصد مرقد الشاه عبد العظيم، ليتوفى بعد مدة قصيرة[1]. وعلى غرار قضية كربلاء، ربما كانت دواعي معارضة الحكومة هنا أيضاً أقل أهميةً من مجرد الرغبة في المعارضة ذاتها[2].

كانت مدينة طهران من أبرز الأماكن التي تجلى بها التحريض الديني ضد السياسة الشاهانية، وكان ذلك من أهم المعالم الاستثنائية في عهد محمد شاه. وعلى الرغم من استمرارية حدوث التصادم بين العلماء والسلطة المدنية في الأقاليم، الذي نشأ بسبب اضطهاد الحكام وطموح العلماء، إلا أن أبرز تجلّيات التناقض الأساسي بين الدولة والعلماء وجدت طريقها في طهران؛ إذ شهدت، على الرغم من التركيب المهلهل للحكومة فيها، دسائس أسهمت في صيرورة العملية السياسية في البلاد في الوقت الذي وقع فيه أكبر تركز سكاني الممثل بطهران تحت تصرف العلماء[3].

وعلى الرغم من ذلك، نستطيع أن نتلّمس حتى في عهد الحاج ميرزا آقاسي محاولات تقوية ومركزة الدولة؛ إذ خضع حكّام الأقاليم إلى مراقبة صارمة[4]، واستمر العمل بالإصلاحات العسكرية.

---

(1) التنكابني، المصدر السابق، ص89 -90. مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 119;
ينظر كذلك: التنكابني، النسخة المترجمة، مرقد الشاه عبد العظيم: نسبةً إلى السيد عبد العظيم الحسني في الريّ في إيران، ص220.

(2) Algar, Op. Cit., p. 119.

(3) Algar, Op. Cit., p. 119.

(4) See «S,» «De l'état administratif et politique de la Perse,» **Revue de l'Orient**, IV (1844), p. 114.

وحظيت مسألة ارتداء اللباس الرسمي بالاهتمام، ومرة أخرى كان المطلوب فرض عقاب ديني على ارتداء ما كان يبدو جلياً بأنه لباس أوروبي[1]، ووضعت إحدى المحاولات المبكرة لتوطين القبائل موضع التنفيذ: فقد خصصت أراضٍ لسبع مجموعات قبلية بالقرب من مدينة قم، وتمّ ربط كل منها بمتابعة أحد علماء تلك المدينة[2]. وعموماً، مثّلت عملية تقوية الدولة إحدى الميول لتقييد امتيازات العلماء. وحاول الحاج ميرزا آقاسي تمديد ما يعرف بالولاية القضائية المدنية أو القانون العرفي من خلال إزالة القضايا المرفوعة أمام محاكم الشرع[3]، وإضعاف المظهر الآخر لقوة العلماء عبر إلغاء ظاهرة «البه ست» أو الاعتصام (المكان أو الصومعة المنبثقة من السلطة المدنية التي توفرها المساجد، أو محل إقامة العلماء، أو ما يتبعها من بقية الأماكن)[4]. ومن المفارقات، أنه التزم بنفسه عند وفاة

---

(1) لسان الملك، **ناسخ التواريخ**، م1، ص378؛ مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 120.

برز اعتراض رجال الدين بشدة تجاه إصلاحات المؤسسة العسكرية وبالذات تجاه ما عُرف بزي «النظام الجديد» الذي كان شبيهاً بالزي العسكري الفرنسي والروسي، حتى أطلق بعضهم تهكماً بأن الجيش غدا فرنجياً ومسيحياً.

انظر:

Algar, Op. Cit., pp. 75- 79.

(2) A. K. S. Lambton, **Landlord and Peasant in Persia** (London, 1953), p. 141.

(3) Sepsis, Op. Cit., p. 105.

مقتبس في:

Algar, Op. Cit., p. 120.

(4) عدّ بعض المؤرخين ظاهرة (البه ست) من الظواهر الغريبة التي ساعدت على =

محمد شاه بالإفادة من هذا المرفق الذي سبق وأن سعى لإلغائه[1]؛ إلا أن تقييد حق اتخاذ الملاذ أو الاعتصام بقي عنصراً دائماً في محاولات الدولة للتأكيد على ذاتها[2].

لقد تعززت مثل تلك التوجهات من خلال استحواذ الدولة، كما في عهد ناصر الدين شاه، على بعض المظاهر الغربية. ولذلك رأى العلماء أنّ تلك الوسائل الابتداعية قد قوّت عدوهم التقليدي وفي الوقت نفسه أسهمت في الحد من حريتهم[3].

رأينا كيف أنّ التنافس بين العلماء والدولة، الذي ارتكز على أساس عقائدي، قد انحسر بطريقة أو بأخرى في ظل سياسة الشاه فتح علي شاه. بيد أن ذلك التنافس أصبح مريراً وصريحاً في عهد محمد شاه. فقد أدّت ميوله البدعيّة، وبطئه غير المدروس تقريباً، فضلاً عن محاولات تعزيز السلطة المدنية المركزية، إلى تفاقم العداء المتأصل في العلماء.

ففي الوقت الذي تعززت فيه سلطتهم في الأقاليم، إلا أنهم

تقوية نفوذ رجال الدين في إيران، وعرفت بكونها منح حق الحماية الكاملة لكل خارج عن القانون ولكل مناهض للسلطة يلجأ إلى بعض المساجد المعروفة، أو إلى دور كبار رجال الدين دون أن تتمكن السلطة من اتخاذ أي إجراء بحقه. انظر: أحمد، كمال مظهر، **دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر**، بغداد، مطبعة أركان، 1985، ص185.

(1) Watson, Op. Cit., p. 357.

(2) Algar, Op. Cit., p. 120.

(3) Algar, Op. Cit., p. 120.

أصبحوا قوة ثابتة وهائلة في الشأن السياسي في العاصمة[1]. ونادراً ما كان أي حدث مهم في عهد ناصر الدين شاه يمرّ دون أن يدمغ بتدخلهم سواء عبر التهديد أو التدخل الفعلي المباشر[2].

وفي الواقع تعامل العلماء مع القاجاريين بوصفهم مغتصبين، وكانت إدانتهم الحاسمة قد تمثلت بإعطاء الأهمية للشائعات القائلة: إنّ «قبيلتهم ساعدت يزيداً في حروبه ضد أبناء علي»[3]. وهكذا كانت هذه المرارة مستعرة الكراهية، إذ ساعد عهد ناصر الدين شاه على إذكائها وتضخيمها، حتى غدت أحد العناصر الرئيسة في الثورة الدستورية فيما بعد[4].

---

(1) Gobineau, Op. Cit., p. 315.

كتب غوبينو بأن محمد شاه قد جعل من العلماء «مسؤولين عاجزين وخاضعين للدولة»، لكنه بدا أنّه قد بالغ في نجاحه في محاربة العلماء. كما أنّه كتب بأن الشاه أسند لنفسه حق تعيين المجتهدين، الذي، ولدواعٍ واضحة، لا يمكن الركون لمثل هذا الادعاء. إذ من المفترض هنا التذكير بأن غوبينو قد تعامل مع حقبة تاريخية لم يكن شاهداً عليها بنفسه في إيران، ولهذا فإن تصريحاته تلك لا تحمل في طياتها أية أهمية خاصة. مقتبس في:
Algar, Op. Cit., p. 120.

(2) Algar, Op. Cit., p. 120.

(3) وعلى غرار تلك الشائعات فإن النسب غير المقدس للقاجاريين قد شاع خلال الثورة الدستورية. انظر:
Algar, Op. Cit., pp. 120-121, 252.

(4) Algar, Op. Cit., p. 121.

القسم الثاني

ترجمة الدراسة

خوان، أر. آي. كول، موجان مومن،

المافيا والغوغاء ونزعة التشيُّع في العراق:

تمرّد كربلاء العثمانية 1824 -1843 (1)(*)

أحدث التمرّد المؤثّر في مدينة كربلاء العراقية المناوئ لسياسة الحكومة المركزية اجتياحاً كارثياً من القوات التركية العثمانية المرابطة في بغداد في شهر يناير/ كانون الثاني من عام 1843. ونظراً لبقاء التاريخ الاجتماعي الحضري للإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر غير معروف نسبياً، فإن أنماط التنظيم الاجتماعي والثقافة المحلية التي قادت إلى ذلك التمرد تستحق بحق معالجة تفصيلية.

يستعرض التحليل الآتي دور العصابات الحضرية في قيادة

---

(1)(*) يبدي المؤلفان امتنانهما للتعليقات على المسودات الأولى لهذا البحث من لدن حنا بطاطو Hanna Batatu، وجيف إيلي Geoff Eley، وهالة فتاح Hala Fattah (ولا يتحمل أيّ منهم وبأيّ شكل من الأشكال أية مسؤولية لما سيرد لاحقاً).

ومن أجل توضيح الأمر للقارئ العام تمّ حذف علامات التحريك في ترجمة اللغتين العربية والفارسية في هذا البحث. أما المتخصصون فهم قادرون على استحضار ذلك ذهنياً في أي حال من الأحوال.

التمرّد من خلال تحالفها مع الفئات الاجتماعية الأخرى. فعلى الرغم من تواجد فرق حراس الأحياء في المدن الإسلامية؛ إلا أنّ العقود الأولى من القرن التاسع عشر، وبالتوازي مع تراجع السيطرة الحكومية، قد شهدت تنامياً «للمافيا» العصابات التي أخذت على عاتقها مهمات الحماية بوصفها نظيراً للحكومة في كربلاء. وعلى الرغم من أن الأخيرة قد مثّلت أنموذجاً لجماعة «مناهضة للمجتمع Anti Social»، إلا أنّ تلك العصابات الحضرية تميزت بقدرتها على إقامة التحالفات داخل المدينة بهدف البروز كزعامات شعبية تناهض التهديد الأجنبي، وبالتالي العمل تحت مظلة أخرى غير تلك الصفة الاستغلالية التي عُرفت بها.

لقد أقام هؤلاء المتشددون تحالفات عديدة في أثناء النزاعات الدائرة؛ إذ وظفّهم الأعيان الملاكون المحليون في المدينة بوصفهم حراساً شخصيين وقتلة. وأقام هؤلاء روابط مع البدو العرب الشيعة خارج أسوار المدينة. أما الجماعة الأخرى، التي دعيت «الغوغاء» فقد تشكّلت من الحرفيين وأصحاب المحال التجارية الصغيرة وأسهمت بالتمرد تحت تأثير الخطاب الديني (الشيعي) والإثنية (الإيرانية) لمواجهة السُّنة الأتراك الدخلاء الذين سعوا لإخضاعهم. وأخيراً، فإن علماء الدين المسلمين قد احتلوا مكانة خاصة في المدينة المقدسة، وتحالفوا مع العصابات الحضرية أيضاً[1].

---

(1) نوقش دور علماء الدين الشيعة في التمرد على نحوٍ مختصر في:
Hamid Algar in his Religion and State in Iran 1785- 1906: **The Role of the Ulama in the Qajar Period** (Berkeley and Los Ange- =

تتقصى هذه الدراسة وسائل عدة لاستحضار معنى حكم العصابة والتمرد الشعبي في كربلاء الشيعية؛ من خلال:

أولاً: إجراء تحليل تساوقي Synchronic Analysis لمختلف الجماعات الاجتماعية وعلاقاتها مع بعضها البعض.

وثانياً: دراسة تعاقبية Diachronic للسرد التاريخي للعمليات التي بموجبها أصبحت المدينة مستقلة ذاتياً على نحوٍ فعلي، وعن قدرتها في مقاومة الغزو، مثلما سيتم توضيح كيفية تصرف تلك الجماعات الاجتماعية تجاه بعضها البعض مع مرور الوقت. فضلاً عن إيلاء أهمية لذهنية الفاعلين الاجتماعية الأساسيين، وملاحظة الدور الحاسم الذي لعبه الدين وعلماء الدين.

لقد تمّ تذويب التشرذم بين الجماعات المتمردة في كربلاء بطريقة مهمة بفضل الإسلام الشيعي الإمامي، تلك الطائفة الدينية التي تعتقد بأن علي صهر النبي محمد وأحد عشر من المتحدرين من نسله مباشرة (اصطلاحاً بالأئمة)، هم من وقع على عاتقهم الإمساك بزمام السلطة في الإمبراطورية الإسلامية الوليدة بعد وفاته. واحتفظ الإمامية بذلك الاعتقاد حتى العودة الخارقة للطبيعة للإمام الثاني عشر (الذي دخل في مرحلة الغيبة في القرن التاسع)، ولهذا فإن

---

les, 1969), pp. 114- 16. See also Mangol Bayat, **Mysticism and Dissent: Socioreligious Thought in Qajar Iran** (Syracuse, 1982), p.42; and Denis M. MacEoin, «**From Shaykhism to Babism: A Study of Charismatic Renewal in Shi'i Islam**» (Univ. of Cambridge Ph.D. thesis, 1979), pp. 112- 13.

جميع الحكومات تفتقر إلى الكمال وفقاً لوجهة نظرهم. وعلى الرغم من ذلك، قَبِل غالبية هؤلاء بالشرعية المؤقتة التي مثلتها الملكيات الشيعية كالصفويين والقاجاريين في إيران. أما التشيُّع في كربلاء فقد شمل كلا الصنفين الأغنياء منهم والفقراء، والعرب والإيرانيين.

التزمت النخبة الحاكمة في العراق العثماني بالتسنن (الطائفة التي شكلت غالبية المسلمين ما عدا إيران في مرحلة ما بعد القرن السادس عشر والعراق المعاصر)، التي اعتبرت أنّ الزعامة السياسية بعد وفاة الرسول قد وقعت على عاتق خليفة منتخب بطريقة أوليغاركية (أقلوية). وبعد عهد الخلفاء الأربعة (الراشدون) الأوائل الذي كان آخرهم علي، انتقلت السلطة السياسية إلى ملكيات وراثية أقل تبجيلاً، على غرار الخلافتين الأموية والعباسية. وفي الوقت الذي دان فيه السُّنة بالولاء إلى الإمبراطور [السلطان] التركي، إلا أنّ الشيعة مقتوا الحاكم العثماني على اعتباره مهرطقاً ومغتصباً لمنصب كان من المفترض أن يؤول فقط إلى الإمام الثاني عشر.

البنية الاجتماعية: الدين والدولة والجمهور:

طبقاً لما أشار له حنا بطاطو، فقد نجم عن الانقسامات العرقية والدينية في العراق ثلاث مناطق سكانية. إذ شكل العرب الشيعة السواد الأعظم نزولاً من جنوب بغداد، وغطى العرب السُّنة معظم بغداد فضلاً عن شمالها من المناطق النائية، وأخيراً، ساد الكُرد في المناطق الواقعة شمال شرق بغداد، حيث تم اعتناق شكل من أشكال

النزعة السُّنية المتأثرة وعلى نحوٍ كبير بالروحانية الصوفية[1]. ومع ذلك، أسهمت الانقسامات الاجتماعية والاقتصادية العنيفة إلى تقسيم الشعب أيضاً. وغالباً ما كان سكّان البلدات في صراع مع البدو الرعاة، إذ قدر عدد السكّان في عام 1850 بنحو 1,290,000، شكّل البدو الرعاة ما مجموعه 35٪. أما ما تبقى، فقد شكّل الريفيون ما مقداره 41٪ والحضريون 24٪[2]. وشغل الشركس والأتراك السُّنة المناصب العليا في الحكومة. وكان معظم المتحكمين المحليين بالعقارات الريفية الكبيرة من العرب السُّنة. وغالباً ما هيمن الأعيان السُّنة حتى في الجنوب الذي امتاز بالأغلبية الشيعية، باستثناء المناطق المحيطة بالمدن المقدسة[3].

أدّى ضعف الحكومة العثمانية في اسطنبول لما يقرب من قرن من الزمان 1750-1831، إلى بروز ثلة من المماليك التابعين (الجنود العبيد) ليحكموا من بغداد[4]. وكثيراً ما لاقت حتى هذه الحكومة

---

(1) Hanna Batatu, **The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq** (Princeton, 1978), pp. 37- 9.

(2) Tom Nieuwenhuis, **Politics and Society in Early Modern Iraq: Mamluk Pashas, Tribal Shayks and Local Rule between 1802 and 1831** (The Hague, 1982), p. 10.

(3) Batatu, **Old Social Classes**, pp. 44 -50.

(4) تشمل المصادر الأساسية عن مطلع العراق الحديث على: السيد عبد الرحمن السويدي، **تاريخ حوادث بغداد والبصرة 1186 -1772/1192- 1780**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد، 1978)؛ الشيخ رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ترجمة: موسى كاظم نورس، (بغداد، د.ت)؛ سليمان فائق بك، **تاريخ بغداد**، ترجمة: موسى كاظم نورس، (بغداد، =

المحلية صعوبة في تأكيد سلطتها على الفئات السكّانية. وابتداءً من عام 1831 أخذ العثمانيون يحكمون على نحوٍ مباشر مرة أخرى، في محاولة لفرض مزيد من السيطرة تدريجياً عبر جيشهم الدائمي وجهاز بيروقراطي في بغداد. ومع ذلك، انخرط المماليك والعثمانيون في صراع دائم مع البدو الرعاة الشيعة من العرب في الجنوب لكونهم دافعي ضرائب معاندين وغزاة متكررين لأجل الاغتنام للمستوطنات المستقرة. ووقعت الأراضي التي هيمنت عليها العشائر الشيعية في المدن المقدسة ككربلاء والنجف، حيث مواقع دفن الأئمة الذين تحظى رفاتهم بقدسية لدى معتنقي هذه الطائفة من المسلمين.

تبعد مدينة كربلاء حوالي 45 ميلاً جنوب غرب بغداد. ويعود الفضل في نشأتها واستمرارية ازدهارها لاحتوائها على ضريح الإمام الحسين، حفيد النبي محمد، الذي توفي في الثورة المناهضة للدولة الأموية في عام 680م. وكان للزيارات الدينية إلى الأضرحة (التي غالباً ما اندمج معها الجانب التجاري) وتدفق الثروة إلى المدينة على هيئة منح دينية وأوقاف قد اجتمعت جميعاً وأضفت هالة من الأهمية الاقتصادية والدينية والسياسية؛ بل شكلت أيضاً طابعاً مدنياً على

= 1962). أما عن الدراسات التحليلية الحديثة، انظر:

Nieuwenhuis, **Politics and Society in Early Modern Iraq**;

[علاء] موسى كاظم نورس، **حكم المماليك في العراق 1750 -1831**، (بغداد، 1975). وهذه ما تزال مفيدة:

Clement **Huart, Histoire de Bagdad dans les temps modernes** (Paris, 1901); Stephen H. Longrigg, **Four Centuries of Modern Iraq** (Oxford, 1925).

المدينة بوصفها منفذاً صحراوياً لصالح تجارة المسافات الطويلة[1]. وفضلاً عن ذلك، شكّل ضريح الإمام الحسين نقطة جذب خاصة لحجاج [زوّار] الطائفة الشيعية من المسلمين. وبعد عام 1501 تحوّل عدد كبير من سكّان إيران من التسنُّن إلى التشيُّع بفعل جهود الحكّام الشيعة من السلالة الصفوية، الذين أنعموا بالهدايا الفخمة على أضرحة المدينة. وعلى الرغم من أنّ الصفويين وخصومهم العثمانيين السُّنة قد تنازعا على معظم العراق، إلا أنّ كربلاء غالباً ما بقيت في أيدي الأتراك.

انتسب سكّان المدينة جزئياً إلى العشائر العربية الشيعية من جنوب العراق، التي غالباً ما أبدت استياءها من الحكم العثماني. وفي المقابل، شجعت الاضطرابات السياسية في إيران خلال القرن الثامن عشر، بفعل الغزوات الأفغانية وسقوط الصفويين، إلى لجوء أعداد كبيرة من الإيرانيين للاستقرار في النجف وكربلاء. وخلال القرن التاسع عشر استقر كلٌّ من التجار والأعيان الإيرانيين فيهما استجابة لأمنية دينية تنادي بضرورة التقرب من الأضرحة أو لأن إيران قد تحولت إلى بلد خطير سياسياً عليهم. وعلى الرغم من أنّ الإيرانيين المهاجرين قد تم استيعابهم بمرور الزمن في العراق، إلا أنّ العديد منهم كان قد حافظ على زيه الوطني المميز ومعرفته وولائه السري إلى إيران. ونتيجة لغلبة التشيُّع في المدينة والعنصر الإثني الإيراني الكبير، فقد نظر المسؤولون العثمانيون حيال كربلاء كطابور خامس محتمل.

---

(1) E. Honigman, «Karbala», in **Encyclopaedia of Islam**, 2nd edn.

لقد تشكلت أعلى المراتب الوظيفية في حكومة هذه المدينة، خلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، من السُّنة الذين عينهم المماليك من بغداد، الذين قيُّض لهم التحكم بالمصادر العديدة المكونة لثروة كربلاء بما فيها الأضرحة وحق فرض الضرائب. وعلى الرغم من ذلك، فقد تمّ فرض هذه التركيبة السُّنية وإقحامها على النخبة العربية الشيعية المحلية صاحبة الممتلكات. ومع ذلك، استمدت العوائل العربية البارزة قوتها المحلية من وضع يدها على الموارد الاقتصادية الكبيرة.

فعلى سبيل المثال، امتلك أحد الأقطاب المحليين، وزعيم إحدى العوائل القوية في المدينة المعروفة بالسادة (التي تدعي انتسابها للنبي محمد) ثلث الأراضي المزروعة والبساتين المحيطة بكربلاء. وخلال عشرينيات القرن التاسع عشر وثلاثينياته تحول الأعيان المحليون، وهو ما سيتمّ مناقشته أدناه، إلى حكّام فعليين للمدينة بحيث غدت الأخيرة أشبه ما تكون بدولة المدينة على نحوٍ عملي. وأصبح السيد عبد الوهاب، زعيم الأسر الكربلائية النخبوية، حاكماً للمدينة في أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر وبأمر من الوالي العثماني علي رضا باشا[1].

تكوّنت غالبية سكان كربلاء من العمال والتجار شبه المهرة والباعة المتجولين وأصحاب المحلات الصغيرة. وكان العديد من

---

(1) **Public Record Office**, London, Foreign Office (hereafter P.R.O., F.O.) 195 /204, «Translation of a Persian Account of Karbala», spring 1843.

هؤلاء من الإثنية الإيرانية، إذ تشابهوا بالثقافة والوضع الاجتماعي مع نظرائهم الإيرانيين، وأطلق عليهم [بالفارسية] پيشه وَران pishih - varan أي الحرفيين[1]، إذ كان المكافئ الأوروبي لمصطلح «قليلي الأهمية» أو ما يعرف بـ (طبقة عامة الشعب Menu People [العوام])، هم الحرفيون في كربلاء، على غرار التجّار الكبار وحكومة المدينة، قد استغلوا تجارة الحج [الزيارة]. وتوقع هؤلاء من حاكم المدينة أن يؤمن لهم لقمة العيش من خلال تشجيع الحجاج [الزوار] وضمان سلامة الزوار الإيرانيين القادمين إلى كربلاء.

وكان جزء كبير من الشيعة قد شعروا بالفخر نتيجة لسكنهم ومعيشتهم في مدينة الإمام الحسين وحيازتهم للطرق السهلة المؤدية إلى ضريحه؛ إذ أضفت الهدايا النفيسة إلى الضريح من الملوك

---

(1) See Mohammad Reza Afshari, «The Pishivaran and Merchants in Precapitalist Iranian Society», **Internat. Jl. Middle East Studies**, xv (1983), pp. 133- 55;

ومن أجل إحاطة تاريخية لهذه الجماعة في إيران، انظر أيضاً:

Evrand Abrahamian, «The Crowd in the Persian Revolution», **Iranian Studies**, ii (1969), pp. 128- 50. Cf. E. J. Hobsbawm, Primitive Rebels: **Studies in Archaic Forms of Social Movement in the 19th and 20th Centuries** (New York, 1965 edn.), p. 115; and George Rudé, **Paris and London in the Eighteenth Century: Studies in Popular Protest** (New York, 1973), pp. 17- 34. Robert J. Holton, «The Crowd in History: Some Problems of Theory and Method», **Social Hist.**, iii (1978), pp. 219- 33,

حيث تمّت الإشارة إلى تجمع الحشود على نحوٍ مستمر، ولأغراض أخرى لا تتعلق فقط بالاحتجاج، وإنما للاحتفالات والمناسبات الدينية.

الإيرانيين ونواب مملكة (أوده) في الهند بهاءً مضموناً على مدينة الضريح، وحينذاك حظي العوام بالنِّعم[1].

وكثيراً ما جرت التجمعات العامة بهدف الاحتفاء بالأيام المقدسة المقترنة بالأئمة ولا سيما إحياء ذكرى استشهاد الحسين؛ إذ لعبت هذه الشبكات الاجتماعية، التي تطورت من أجل تنظيم المواكب الدينية، دوراً أيضاً في أثناء الأزمات السياسية. وكان من السهولة إثارة عوام كربلاء للدفاع عن المدينة من محاولات بغداد لوضعها تحت سيطرة محكمة كما فعلوا خلال الأعوام 1824، 1835، 1842 -1843. لقد تشابهت تلك القلاقل مع نظيرتها الأوروبية كأعمال الشغب التي جرت ما بين «الكنيسة والملك»، في الوقت الذي التزم فيه الحرفيون الشيعة بالولاء لشاه إيران وضحّوا بالكثير من أجل منع القوات السُّنية الأجنبية (الغريبة)[2].

---

(1) ومن أجل متابعة المبالغ الضخمة المتدفقة على مدن الأضرحة الشيعية في العراق من حكام المملكة الشيعية في شمال الهند (أوده)، انظر:

Juan R. I. Cole, **Roots of North Indian Shi'ism in Iran and Iraq: Religion and State in Awadh, 1722- 1859** (Berkeley and Los Angeles, forthcoming);

ومن الجدير بالذكر صدور ترجمة كاملة لهذا الكتاب في ثلاثة أعداد من **مجلة الموسم**: مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث، تصدر من أكاديمية الكوفة في هولندا، صاحبها ورئيس تحريرها: محمد سعيد الطريحي، انظر: (العدد 15، 1993، العدد 19، 1994، العدد 20، 1994). (المترجم).

وللمؤلف نفسه، انظر:

«Indian Money' and the Shi'i Shrine Cities of Iraq», **Middle Eastern Studies**, forthcoming.

(2) Cf. Hobsbawm, **Primitive Rebels**, pp. 118 -19.

«مافيا» كربلاء:

شهدت كربلاء خلال عشرينيات القرن التاسع عشر وثلاثينياته نمواً في سلطة النخب المحلية وعلاقتها مع المركز. وكما سيبين أدناه، فقد أدار زعماء العصابات الحضرية أعمال الحماية عبر إزاحة أو احتواء ملاكي الأراضي القدامى والعوائل التجارية فضلاً عن عقد الروابط مع العشائر العربية المجاورة؛ بل تحالفوا أيضاً مع صفوة علماء الدين في المدينة. وقُدّر لهم بهذه الطريقة أن يخلقوا تحالفاً من الجماعات التي أبدت اهتماماً بالحكم الذاتي والانعتاق من العثمانيين، سواء لدواعٍ مالية أو دينية.

لقد حرّكت جماعات هؤلاء الشباب أفكار الشهامة والتكاتف في سبيل الدفاع عن أحيائهم في المدينة، تلك الأفكار التي سادت في العراق خلال القرون الوسطى. ودعي هؤلاء الشباب بـ «العيارين»، وربما انتسبوا إلى عوائل التجار والعمال وليس إلى العوائل النخبوية. وعلى الرغم من ذلك، فقد اكتسبوا قوة كبيرة في أحيائهم وانخرطوا في نزاعات مع شباب الأحياء الأخرى. وعلى هامش المجتمع الحضري، سقطت هذه الجماعات، في بعض الأحيان، في عالم إجرام المتشردين واللصوص[1].

---

(1) See Roy P. Mottahedeh, **Loyalty and Leadership in an Early Islamic Society** (Princeton, 1980), pp. 157- 8;

وعن لمحات عامة لهذه الظاهرة في خارج العراق، انظر:

Claude Cahen, **Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'asie musulmane du moyen age** (Leiden, 1959), and C. E. Bosworth, **The Mediaeval Islamic Underworld: The Banū Sāsān** =

وفي الوقت الذي كانت فيه العصابات التي جاءت للسيطرة على كربلاء في النصف الأول من القرن التاسع عشر ذات خلفية تاريخية متشابهة، إلا أنّ أفرادها لم يكونوا مجرد طبقة دنيا لنوادي شباب الحي. وغالباً ما تزعم عصابات كربلاء الدخلاء وتضمنت على أعداد من الهاربين والفارين من الجيش. ومع ذلك، فقد استفحلت قوتهم وفاقت تنظيمات الشهامة القروسطية؛ إذ حكموا المدينة من خلال التحالف مع الأعيان المحليين. وباختصار، شهد هؤلاء تحولاً حديثاً على نحوٍ مبكر وغريب، إذ حينما ينظر حيالهم المؤرخ المقارن، من خلال العدسات الحديثة، سيغدو انعكاسهم مألوفاً وأشبه ما يمكن أن ننعته بـ «المافيا».

لقد اتّضحت جميع عناصر المافيا، كما عرفها كلٌّ من هوبسباوم Hobsbawm وهس Hess والآخرين، في كربلاء[1]. واشتملت هذه

= in **Arabic Society and Literature**, 2 vols. (Leiden, 1976);

وأثار إيرا لابيدوس Ira Lapidus النقاش بأن الأجزاء الداخلية من المناطق الحضرية قد خرجت في الأساس تنظيمياً من أيدي جماعات كهذه في سوريا القروسطية، انظر له:

Muslim **Cities in the Later Middle Ages** (Cambridge, Mass., 1967), pp. 105- 7.

(1) Hobsbawm, **Primitive Rebels**, pp. 30- 40; see also Henner Hess, **Mafia and Mafiosi: The Structure of Power, trans. Ewald Osers** (Lexington, 1973); Anton Blok, **The Mafia of a Sicilian Village, 1860 1960: A Study of Violent Peasant Entrepreneurs** (New York, 1975); and Pino Arlacchi, Mafia, **Peasants and Great Estates: Society in Traditional Calabria,** trans. J. Steinberg (Cambridge, 1983).

(نسجل امتناناً إلى جيف إيلي Geoff Eley للفت انتباهنا إلى العمل الأخير). =

العناصر على تجنب اللجوء لقانون الدولة وتفضيل حسم وتسوية الضغائن من خلال استخدام الخشونة وقانون الشرف الرجولي؛ ونظامٍ من المحسوبية مع أربـاب العمل وطبقة من الخدم أو المستخدمين؛ والتحكم بحياة المجتمع من خلال نظام غير معترف به رسمياً من العصابات. وإزاء مافيا كهذه، فلا بدّ من التمييز وبوضوح بين المجرمين الحضريين العشوائيين من جهة، وقطاع الطرق من فلاحي الريف من جهة أخرى. ولهذا، ففي الوقت الذي افتقرت فيه المافيا إلى الشرعية الكاملة، فإنها ارتكزت على بنية شبه حكومية قائمة على مساعدة زعماء طبقة الأعيان. وهي على خلاف أفراد العصابات الذين يتواجدون في منطقة ما ضمن دولة قوية، توجد المافيا حيثما يكون ثمة فراغ في سلطة الدولة، وبالتالي تنفذ خدمة حقيقية تتمثل بتوفير الحماية، لكن على نحوٍ قسري ومشوبة بالعنف.

إن المافيا على غرار الجماعات الشائعة في المدن العراقية والإيرانية، عرفت باسم عام كاللوتي Luti [أحد أفراد ما يعرف بـ «الأخوة الشجعان» أو «الفتوّة» التي دعمت القوى الدينية ثم تحولوا الى النهب والسرقة] أو ما يعرف بالأوباش Awbash [من سفلة الناس وأخلاطهم][1]. وفي بلاد الشام أُطلق عليهم تعبير القبضايات

ومن المفارقات، وكما أشار هس، بأن كلمة «مافيا» ربما اشتقت من اسم قبيلة معافر «Ma'afir» العربية التي حكمت باليرمو [في صقلية] خلال القرون الوسطى.

(1) ومن دلالات كلمة لوتي هي الشذوذ الجنسي أو ما يعرف باللواط، ومن بين المصادر الدالة على انحراف هذه الجماعة، انظر:

= Willem Floor, «The Political Role of the Lutis in Iran», in Michael E.

Qabadayat [ومفردها قبضاي: من قبضة اليد، وتعني الرجل القوي أو شبّان الحي من ذوي الجريمة]. وعلى الرغم من ذلك، كانت مافيا كربلاء تختلف عن معاصرتها الصقلية في كونها حضرية ولا ترتكز على القرية، وأقامت بناءً موازياً للسلطة ارتكز على أعمال الابتزاز والاستخدام الشخصي للقوة، وتزعمها الموسرون. إن العوامل الرئيسة التي وقفت وراء تصنيف هوبسباوم للمافيا الصقلية هي الحاجة للدفاع عن المجتمع بأكمله من التهديدات التي يتعرض لها نمط هذا المجتمع في الحياة، وتطلعات مختلف الطبقات التي تحمل في طياتها الطموحات الشخصية للزعماء النشطين ـ كل ذلك لعب دوراً في مافيا كربلاء أيضاً.

لم يعرف عن المافيا سوى النزر اليسير نسبياً، فما عدا تلك

= Bonine and Nikki R. Keddie (eds.), **Modern Iran: The Dialectics of Continuity and Change** (Albany, 1981), pp. 83- 95; Willem Floor, «The Lūṭīs - A Social Phenomenon in Qajar Persia: A Reappraisal», **Die Welt des Islams**, xiii (1971), pp. 103- 20; Reza Arasteh, «The Character, Organization and Social Role of the Lutis (Javānmardān) in the Traditional Iranian Society of the Nineteenth Century», **Jl. Econ. and Social Hist, of the Orient**, iv (1961), pp. 47- 52; H. G. Migeod, «Die Lūṭīs: Ein Ferment des städtischen Lebens in Persien», **Jl. Econ. and Social Hist, of the Orient**, ii (1959), pp. 82- 91.

ووضح فلور الفرق ما بين تنظيمات الحي الرياضية للطبقات الشعبية، التي أطلق عليها تعبير اللوتيكار **Lutigar** وما بين العصابات أو الأوباش؛ اللذين أشير لكليهما وعلى نحوٍ عام تحت تعبير اللوتية Lutis. أما الأتراك في العراق فقد أشاروا إلى اللوتية تحت تعبير الياراماز **Yaramaz** [تعني الشقي، الخبيث، الشرير، المشاغب] أو ما يعرف بعديم القيمة، أو **Girami**.

التي في صقلية، إلا أن كلّاً من هوبسباوم وهس قد أوضحا الظروف التاريخية الحديثة والمبكرة التي حاقت بنشأتها. فهي، في المقام الأول، جاءت للسلطة نتيجة لضعف سلطة الدولة في المراكز الحدودية كالمناطق الريفية النائية في جزيرة صقلية.

وينطبق هذا الرأي على كربلاء باعتبارها شيعية وجيباً إيرانياً إلى حدٍّ ما. فقد شهدت كلٌّ من صقلية وجنوب العراق، ولعدّة قرون، حكماً أشبه ما يكون بالمستعمرة من مراكز بعيدة ومتغيرة، ولهذا لم يعر الناس في هذه المناطق سوى أهمية ضئيلة لشرعية الحكم الرسمي فيها.

إن انبثاق النخبة الجديدة نتيجة لفقدان الطبقات المتنفذة السابقة قدرتها للوصول إلى المصادر التقليدية للسلطة قد أسهم أيضاً في تشكيل المافيا. فقد ظهرت المافيا في صقلية في أعقاب إلغاء النظام الإقطاعي وبروز الطبقات الوسطى الجديدة في المناطق الريفية. وكما أشار هس، كان نشوء المافيا بوصفها حكومة موازية قد جاء بعد انهيار النظام الإقطاعي القديم، ولكن قبل بزوغ الدولة الحديثة وضغوطاتها للمطالبة بالاحتكار الفيبري[1] لاستخدام القوة. وحين تؤكد الدولة الحديثة على حيازة مكانة المافيا، فإنها تتحول من بطل شعبي في ثقافة فرعية إلى مجرم.

وجرى طرد حكومة كربلاء الدخيلة التي عيّنتها النخبة السُّنية من المدينة مع تزايد الوهن الذي لحق بالحكم المملوكي في

(1) نسبةً إلى عالم الاجتماع ماكس فيبر. [المترجم].

عشرينيات القرن التاسع عشر. وحينذاك حاول أعيان العرب الشيعة المحليون أن يحلوا محلهم في احتكار السيطرة على موارد المدينة، إلا أنهم افتقروا إلى القوة المسلحة المنضبطة فضلاً عن افتقارهم لتقليد الحكم الشرعي. وكانت مصادر ثروة كربلاء متأتية من الحج [الزيارة] والتجارة والمتطلبات الأمنية. ولهذا اعتمد أعيان الشيعة على طبقة من الخدم أو المستخدمين الأُجراء من بين شريحة قطاع الطرق. وعلى نحو غير متوقع، برز على السطح الأشرار وشريحة من الهاربين اليائسين من أبناء الأحياء، الذين سبق وأن استأجرهم الأعيان، وامتلكوا زمام أمورهم كقوى فاعلة. وفي هذا الوقت تولى إبراهيم الزعفراني الحماية وجمع الضريبة لصالح القطب الثري السيد عبد الوهاب، لتتنامى الثروة بما فيه الكفاية من خلال ممارسة الابتزاز والاحتيال والترويع بهدف الدخول والانضواء تحت عباءة النخبة المالكة ذاتها. وشرَع أبناء أصحاب المتاجر الصغار وطبقة متواضعة من رجال الدين في منافسة ملاكي الأراضي القدامى من أسر السادة على الثروة والنفوذ بمقتضى قيادتهم للقوة المسلحة. ولهذا، وجدت النخب الشيعية القديمة، خلال ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأربعينياته، أنّ لها قضية مشتركة مع ارتفاع شأن زعماء العصابات لمقاومة الإصلاحات العثمانية.

وانقسمت عصابات المدينة إلى فصيل من الأقلية الإيرانية وغالبية من الجماعة العربية. وتزعم الفصيل الإيراني ميرزا صالح، وهو ابن لأب إيراني من شيراز وأم عربية من عائلة مكوّنة من فقهاء شيعة مقرّها في كربلاء. وانضوى تحت إمرة ميرزا صالح جمعٌ كبير

من عصابته المقدر عددها بين 60 - 150 فرداً من بلوش مقاطعة فارس في إيران[1].

وتزعّم السيد إبراهيم الزعفراني الفصيل العربي الأكبر عدداً من بين جماعات العصابات. وكان والده، وهو إيراني من باكو، قد تزوج من عربية في كربلاء، واستقرّ هناك وعمل في بيع الزعفران. إلا أن الصناعة الأوروبية كانت قد أسهمت في تدمير مكانة المواد الداخلة في صناعة النسيج العراقي خلال ثلاثينيات القرن التاسع عشر[2]. [في إشارة على ما يبدو لتدهور مكانة الزعفران في تلوين الأقمشة فضلاً عن استخدامه في المجالين الغذائي والطبي]. ولم يُعرف ما إذا كانت عائلة الزعفراني قد عانت من خسائر تجارية إثر المنافسة الأوروبية. فقد ترعرع السيد إبراهيم على الفاقة، ومال إلى صفوف المتشددين لينضمّ في النهاية للعصابات. وبرز اسمه حينما قتَل أحد زعماء تلك العصابات. وسرعان ما ابتدع سياسة خاصة لتوزيع الغنائم متحرّراً من الأنشطة الإجرامية لأتباعه، الأمر الذي جعله أكثر شعبية، أمام عامة الناس، من بقية زعامات العصابات الأخرى. وأبدى أيضاً جانباً من الجرأة التي أثارت إعجاب رجاله، إذ أتقن مثل هذا النوع

---

(1) تستند هذه المعلومات في هذه الفقرة وما تلاها إلى:
P.R.O., F.O. 195/ 204, «Translation of a Persian Account»; and on F.O. 248/108, Lt. Col. Farrant to Sir Stratford Canning, **dated Baghdad**, 15 May 1843.
وكانت رسالة فارانت بمثابة تقرير مفصل استند إلى مقابلات موسعة مهد لها البريطانيون بعد الحصار العثماني لكربلاء.

(2) Nieuwenhuis, **Politics and Society in Early Modern Iraq**, p. 86.

من الخداع الذي استطاع من خلاله إزالة خصومه الخطرين، وبالتالي تجميع ائتلاف فضفاض من العصابات العربية داخل المدينة. وكان زعيما العصابات الرئيسة، الزعفراني وصالح، بمثابة «رجال الشعب»، فقد نشأ من خلفيات وجذور انتسبت للشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى. ومن خلال رمزية «الشرف» المرتكزة على الشجاعة والدهاء والعنف، كسبا الاحترام والخوف من العوام الذين شخُصت أنظارهم تجاه من علا موقعه بفضل الثروة أو السلطة.

لقد تراوحت أعداد العصابات الأربع عشرة الرئيسة، بما فيها الجماعة المحيطة بميرزا صالح، من 50 - 60 رجلاً إلى 400 رجل. وتخصص البعض منهم بأنواع معينة من الابتزاز، وكانت إحدى تلك العصابات، على سبيل المثال، قد التزمت سوق المدينة أو البازار. وكان العديد من أفراد العصابات من الهاربين الذين جاؤوا من خارج كربلاء. وفضلاً عن هذه العصابات، وظّف الزعفراني أقاربه العرب من جهة أمه بهدف بناء تحالف مع الجماعات البدوية العربية المجاورة. ولذلك قام بجلب أحد زعماء العشائر إلى المدينة بمعية 300 رجل من أجل تدعيم مكانته. مثلما قام خمسة من زعماء العشائر العربية، من خارج المدينة، بالتحالف مع الزعفراني. ولهذا كان جميع الشيعة، في كثير من الأحيان، قد دخلوا في نزاع مع الحكومة العثمانية.

وعلى الرغم من وقوع كربلاء ضمن حدود العراق، إلا أنّها حملت سمات مدينة حدودية. فقد أظهر السكّان العداء للحكومة السُّنية في بغداد، التي كان من النادر عليها أن تبقي قوّاتها السُّنية من

دون أن تتلقى مشكلات لا نهاية لها. وأصبحت المدينة مخبأً مثالياً لجميع أولئك القتلة واللصوص والمختلسين والهاربين من الجيش في كل من إيران والعراق. وغالباً ما امتزجت مثل تلك العناصر الخاصة بعالم الإجرام والرذيلة (الذين غالبيتهم من العرب) مع العمال الإيرانيين، والبائعين المتجولين المهمشين وأصحاب المحال التجارية في أسواق كربلاء، وبالتالي نظّمت وأنشأت مناطقَ للحماية بهدف استنزاف باعة التجزئة أو المفرد والتجار والحجاج. وكان الأجلاف، من المتشددين اليائسين والمسلحين تسليحاً جيداً، قد نظّموا أنفسهم في عصابات كبيرة، ولهذا، ففي حالة غياب حكومة مركزية قوية لم يبقَ أمام الحجاج [الزوار] والسكان سوى خيار الدفع لـ «عرّاب العصابة» لنيل حمايته.

لقد جمع زعماء العصابات رأسمالاً كافياً بهذه الطريقة وبدأوا بشراء الأراضي، تلك الخطوة التي تعد من أهم المقومات في الشرق الأوسط خلال القرن التاسع عشر، وقطنوا في أفضل المنازل في المدينة. إذ قُدر لجماعة مكونة من 2500 لوتي من أن تحكم وتثير الرعب في المدينة التي بلغ متوسط سكانها 20,000، وعلى الرغم من أنّ السكّان قد سهّلوا من إغداق الأموال إلى أيادي أعضاء العصابات، إلّا أنهم كثيراً ما تعرضوا إلى السرقة والاغتصاب بأية طريقة[1].

---

(1) P.R.O., F.O. 248 /108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

حَوت كربلاء على 3,400 منزل، وتراوح عدد السكان فيها بين 20,000 في العادة و80,000 خلال أوقات الحج [الزيارة]. وعلى الرغم من إعطاء تقديرات مرتفعة بلغت 10,000 لوتي، إلّا أنّ ذلك ربما ناجم عن الخلط بين =

وساعد أعضاء النخبة القديمة التابعة لعبد الوهاب في خلق نظام فاسد من خلال الاضطلاع بدور الرعاة للسفّاحين من قاطعي الطرق، فضلاً عن الدفع، وبسرور، لإحدى العصابات في سبيل الحماية والنأي بأنفسهم عن العصابات الأخرى.

المؤسسة الشيعية والمافيا:

كان الجامع الذي وحّد ما بين الجماعات الشيعية المختلفة في داخل كربلاء هو الوعي الديني بكونهم شيعة، ومن خلال الاعتقاد بأن العثمانيين هم على شاكلة الأعداء السُّنة الذين اضطهدوا الأئمة وجميع أنصارهم على مر العصور. ولهذا وظّف زعماء العصابات هذه العناصر المتنوعة بوصفها بديلاً للسيطرة العثمانية السُّنية على المدينة.

وتركزت نظرة العلماء الشيعة تجاه الإمام الغائب بوصفه الحاكم الأساسي الوحيد، على الرغم من أنّ معظمهم خلال هذه الحقبة قد قَبِل بالسلطة الزمنية بوصفها أفضل ما يمكنهم تحقيقه لتثبيت النظام والسماح لهم بتطبيق رؤيتهم للشريعة المقدسة[1]. وفي الوقت الذي لم يكن فيه لدى علماء الدين (بل والعديد من القطاعات الأخرى

= العصابات مع الطبقات الدنيا على نحوٍ عام. انظر: عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، 8 مجلدات، (بغداد، 1955)، م7، ص65.

(1) See Said Amir Arjomand, «The Shi'ite Hierocracy and the State in Pre Modern Iran: 1785- 1890», **Archives européenes de sociologies**, xx (1981), pp. 45- 60; and Moojan Momen, **Introduction to Shi'i Islam** (New Haven and Oxford, 1985), pp. 191- 6.

من سكان المدينة) أدنى شك في شجب المظاهر القبيحة لحكم العصابات؛ فقد عدّوها على الأرجح لا تزيد شراً وافتقاراً للشرعية مما واجهوه في أثناء السيطرة السُّنية.

لقد رأى علماء الدين الشيعة أنّ ثمّة مزايا كبيرة لإبقاء المدينة خارج السيطرة العثمانية. فإذا ما أعاد الأتراك بناء سيطرتهم على المدينة، فإنهم سيضعون أوقاف ومداخيل الأضرحة المربحة تحت سيطرة الموظفين العثمانيين؛ وعندها ستحال القضايا إلى قاضي المحكمة الدينية العثماني بدلاً من فقهاء الشيعة، فضلاً عن الالتزام بذكر اسم السلطان العثماني في خطب صلاة الجمعة. وفي النهاية، سيتعرضون إلى قيود تفرض على الأداء الحر للنمط الشيعي في إظهار الشعائر الإسلامية[1].

وفضلاً عن ذلك، عانت المؤسسة الشيعية بذاتها من انقسامات عميقة ومريرة، إذ تورط كبار العلماء في الاضطرابات الفئوية التي أثيرت بسبب هيمنة العصابات سياسياً في كربلاء. ليطال هذا الصراع فقهاء المدرسة الأصولية العقلانية بالضد من الشيخيين الأكثر تنظيماً، أتباع الشيخ أحمد الإحسائي (المتوفى عام 1826)[2].

---

(1) في عام 1803 سيطر المسؤولين السُّنة على العديد من الأضرحة الشيعية، انظر:
Abu Talib Khan Isfahani, **Masir i Talibi** [Talibi Travels], ed. Husayn Khadivju (Tehran, A.H. 1352), pp. 406- 7, 418; trans. **Charles Stewart as Travels of Mirza Abu Taleb Khan**, 2nd edn., 3 vols. (London, 1814), iii, pp. 190- 1.

(2) عن الشيخية انظر:
= Bayat, **Mysticism and Dissent**; and Henry Corbin, En **islam irani-**

إنّ النزاع الذي حدث بين هذين الطرفين، الذي قاده العديد من علماء الأصولية لتكفير الشيخ [أحمد الإحسائي] وأتباعه، قد تمحور على تفسيرات الإحسائي المجازية التي شكّلت العقائد الأساسية كالبعث وإسراء محمد واستمرار حياة الإمام الثاني عشر. وفضلاً عن ذلك خشي علماء الأصولية من تفضيل الشيخ إلى ما يعرف بالمعرفة الحدسية (التي قال بشأنها إنه ينالها عن طريق الإلهام مباشرة من الأئمة) الأمر الذي سيُقوّض، على نحوٍ خطير، من نفوذ مواقعهم المرتكزة على المعرفة الفقهية [الشرعية] التخصصية المشتقة أو المستمدة من قاعدة التحري العقلاني.

وفي كربلاء قاد الشيخيين السيد كاظم الرشتي، وخليفته الشيخ أحمد، أما الأصوليون فقد قادهم الفقيه السيد إبراهيم القزويني. وخضع هذا التقسيم في المؤسسة الدينية الشيعية للتدخل المباشر من زعماء العصابات. ففي إحدى المرّات عرض أحد كبار رجال الدين الحماية لأحد زعماء العصابات، الأمر الذي دفع بمنافسه للبحث عن الحماية من أحد زعماء العصابات الأخرى وبخلافه فإنه سيتعرض للمخاطرة والترويع. وعادةً ما أَسس علماء الدين الرئيسون روابطَ مع العصابات في معظم المدن الإيرانية. ولذلك كانت هذه العلاقة النفعية التبادلية قد وفرّت القوة لرجل الدين ومكنته من تنفيذ

= **en**, 4 vols. (Paris, 1972), iv.

وتطورت هذه الحركة إلى جناح يدعو إلى العقيدة الألفية، الذي سيناقش أدناه، وأدت إلى بروز حركة بابية تبشيرية هزّت كل من العراق وإيران في منتصف القرن التاسع عشر.

قراراته ومنحته القدرة على جمع الضرائب الدينية واستنهاض الهمم لصالحه، التي غالباً ما لاقت المعارضة من الحاكم المحلي. أما العصابات، من جهة أخرى، فسرعان ما وجدت حاميها الذي يمكن اللجوء له في حالة تحرك الحاكم ضدها.

وفي كربلاء سلب الزعفراني مالاً من القزويني بلغ 4,000 قران؛ إذ سعى القزويني إلى حماية ميرزا صالح وجماعته، في الوقت الذي أعلن فيه الزعفراني بأنه تابعٌ للرشتي. ومع ذلك تمّ تداول اسم ميرزا صالح بوصفه أحد طلاب القزويني؛ الأمر الذي عكس وجود أكثر من فصيل واحد له ارتباطات مع الطرفين[1]. كما اتضحت عدم استساغة الرشتي لأن يكون تحت حماية الزعفراني، ولا سيما حينما شعر الزعيم الشيخي بعزم العثمانيين لاستعادة السيطرة، وحينذاك قطع صلاته مع زعيم العصابة من أجل الاضطلاع بدور الوسيط.

إعادة توطيد الحكم العثماني في العراق:

دعونا الآن ننتقل إلى البعد المدني، فقد خسرت الإمبراطورية العثمانية، خلال القرن الثامن عشر، العديد من ولاياتها النائية، وقبلت بتبعية الولايات وبولائها المشكوك فيه في بعض الأحيان.

---

(1) P.R.O., F.O. 248 /108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

ولأجل متابعة ميرزا صالح بوصفه طالباً للقزويني، انظر:

Muhammad Tunikabuni, **Qisas al 'ulama'** [Stories of the Religious Scholars] (Tehran, n.d.), p. 4.

فقد ورد تحت اسم «آغا ميرزا صالح عرب»؛ ربما ورد كذلك في: التنكابني، النسخة المترجمة، ص9. [المترجم].

وتزعم مثل تلك الولايات، التي حالفها النجاح الكبير، بعض الأفراد المغامرين من الطبقات العسكرية العثمانية والمملوكية كما حدث في مصر وفلسطين والعراق. وفضلاً عن ذلك، اتسمت الإمبراطورية بالضعف في مواجهتها للثورات في كل من الجزيرة العربية وكردستان. في الوقت الذي سعى فيه أمراء وأسياد وادي الأناضول، الذين امتازوا بجذورهم الراسخة في التركيبة السلطوية المحلية لأكثر مما لدى المماليك، لنيل، وبالطريقة ذاتها، مزيداً من الحكم الذاتي. أما كربلاء خلال عشرينيات القرن التاسع عشر فقد خرجت ولمرتين من قبضة اسطنبول، فهي دولة المدينة في عالم التابعية ذي الولاء الهش. وعلى الرغم من أن زعماء العصابات في كربلاء كانوا من الحضر وليس من الريف، إلّا أن معظمهم كانوا أشبه ما يكون بأسياد الوادي، وغالباً ما أصبحوا قريبين لقطاع الطرق والحكومة[1].

لقد حافظ المماليك على إحكام سيطرة قبضتهم على كربلاء في أواخر القرن الثامن عشر والعقد الأول من القرن التاسع عشر. وكانت العلاقات بين المدينة وبغداد تسير سيراً صحيحاً على أقل تقدير. وفضلاً عن ذلك، كانت المدينة في حاجة ماسة لحكومة مركزية. ففي نيسان من عام 1801، قام 12,000 من رجال القبائل من منطقة نجد في الجزيرة العربية من أتباع الطائفة الإصلاحية السُّنية المتزمتة التي أسسها [محمد] بن عبد الوهاب، بنهب كربلاء من أجل الغنيمة

---

(1) Bernard Lewis, **The Emergence of Modern Turkey**, 2nd edn. (Oxford, 1975), pp. 37- 9; A. G. Gould, «Lords or Bandits? The Derebeys of Cilicia», **Internat. Jl. Middle East Studies**, vii (1976), pp. 485- 506.

والعمل على محاربة وتحطيم ما عُدّ أنها معتقدات بُدعّية[1]. وقبل تقدم زحف الوهابيين في عام 1801، فرَّ الحاكم المملوكي، ليتمّ على إثرها تنفيذ حكم الإعدام بحقّه لاحقاً من الحاكم المملوكي بسبب عدم دفاعه عن كربلاء. فقد هدفت الحكومة من هذا القصاص إلى تأكيد تضامنها مع قاعدتها الحضرية الممثلة بالمواطنين. وربما كان هذا الفعل بمثابة استرضاءٍ لإيران التي هددت بضم المدن المقدسة إذا لم يكن بوسع المماليك حمايتها[2].

وفي الوقت الذي غادر فيه تجار المدينة مؤقتاً بعد الهجوم الذي تعرضت له، ورأى أحد الهنود الرحّالة ما أصابها من تدهور في عام 1803، لم تحدث أية مشكلات كبيرة بين الإدارة المملوكية السُّنية والسكان الشيعة. وذكر الرحّالة بأنه نجم عن تحقيق عائدات كبيرة لصالح الدولة بفعل الحجاج [الزوّار] أن أبدى المسؤولون السُّنة بعضاً من التساهل تجاه الشيعة في المدن المقدسة، على الرغم من تلقيهم البصق في أماكن أخرى[3]. ومع إصرار المصريين على بسط سيطرتهم على جزء كبير من الجزيرة العربية، وإخمادهم للانبعاث

---

(1) وللتفاصيل، انظر:
Isfahani, **Masir i Talibi**, pp. 407- 9 (trans. Stewart, **Travels of Mirza Abu Taleb Khan**, iii, pp. 162- 7);
وعن ردة فعل النجف المجاورة، انظر: جعفر آل محبوبة النجفي، **ماضي النجف وحاضرها**، (صيدا، 1934)، ص234 -236.

(2) عبد العزيز سليمان نوار، **داوُد باشا والي بغداد**، (بغداد، 1967)، ص114، هـ 2.

(3) Isfahani, **Masir i Talibi,** p. 401 (trans. Stewart, **Travels of Mirza Abu Taleb Khan**, iii, pp. 144- 5).

الوهابي، شهدت كربلاء تحسناً في وضعها الأمني على حدودها العربية.

وتدهورت العلاقات بين بغداد وكربلاء بعد عام 1820 جزئياً بسبب هزالة العلاقات السياسية بين إيران والعراق؛ فسرعان ما اندلعت الحرب بينهما في عام 1821، إذ قاد حاكم كرمانشاه القاجاري قواته الإيرانية داخل الأراضي العراقية، وكاد أن يصل بغداد قبل تفشّي الطاعون الأمر الذي أجبره على إبرام السلام والانسحاب. وهيأت الحرب الأجواء للحاكم المملوكي داود باشا لحصار كربلاء. ومع ذلك، تصرفت الحكومة خارج سياق الرغبة المتوخاة في تأكيد السيطرة على المدينة في أعقاب الصراع مع حامي المدينة الخارجي الممثل بإيران. وعلى الرغم من ذلك، كان الحصار قد مثّل حاجة ملحة جزئياً بسبب تحول كربلاء وعلى نحوٍ خطير إلى ما يشبه الحكم الذاتي المستقل عن المماليك، ووقوعها في أيدي الوجهاء المحليين وحماتهم المستأجرين من العصابات غير المنضبطة. وأجبر الحصار العديد من السكان على الفرار إلى مدينة الكاظمية، الأمر الذي أفضى إلى إحداث مأزق بدلاً من تفعيل الاحتلال[1].

---

(1) الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ص298-301؛ Longrigg, **Four Centuries of Modern Iraq**, pp. 242- 7; Murtada al Ansari Al Shaykh, **Zindigani va Shakhsiyyat i Shaykh Ansari** [The Life and Personality of Shaykh Ansari] (Ahwaz, 1960- 1), p. 64.
شددت التقارير الواردة من كربلاء في عام 1843 مراراً وتكراراً بأن داود باشا لم يدخل المدينة فعلياً في عشرينيات القرن التاسع عشر، وإنما فقط حاصرها لمدة 11 شهراً قبل أن يقبل رشوة كبيرة كحل وسط، انظر:

وانطلاقاً من عام 1826 عزم السلطان محمود الثاني على إعادة إدماج تلك الولايات مع الإمبراطورية المركزية. ولهذا أرسل في عام 1830 مبعوثاً إلى بغداد بهدف إبدال الحاكم المملوكي داود باشا، الذي أعدم رجل اسطنبول [يقصد صادق باشا مبعوث السلطان لعزل داود باشا من باشوية بغداد]. ورداً على ذلك، أرسل السلطان جيشاً عثمانياً ضد بغداد في عام 1831 بهدف إخضاع وتدمير المماليك، وإبدالهم بالحاكم التركي المدعو (علي رضا باشا) المسؤول المباشر أمام الحكومة المركزية[1]. وفي الوقت الذي استُهلّ العمل فيه بالإصلاحات في تركيا، وبروز بوادر الضعف التي حاقت بدافعي الضرائب من المزارعين، فضلاً عن بروز سطوة الفئات الاجتماعية الوسيطة على شاكلة الأمراء العسكريين وعلماء الدين، شُرع بمهمة مركزة السلطة في العراق.

ومثلما أفضى استقلال أبناء العشائر الكردية والعربية نتيجة لوقوفهم بوجه عملية المركزة، كذلك نجم الأمر ذاته عن شبه الاستقلال الذي تمتعت به كربلاء. وكان الوالي العثماني علي رضا باشا، أحد أتباع الطريقة البكتاشية الشيعية المؤثرة وأحد الذين يؤدّون النواح على الإمام الحسين سنوياً، قد أبدى تعاطفه مع الشيعة[2]. ومع

P.R.O., F.O. 195/204, «Translation of a Persian Account».

(1) فائق بك، **تاريخ بغداد**، ص82 -116؛ نورس، **حكم المماليك**، الفصل الخامس؛ نوار، داوُد باشا، الفصل السابع؛

Muhammad Golam Idris Khan, «British Policy in Iraq, 1828- 43», **Jl Asiatic Soc. Bangladesh**, xviii (1973), pp. 173- 94.

(2) Ibrahim al Haidari, **Zur Soziologie der schiitischen Chiliasmus: Ein** =

ذلك، دخل في صراع معهم حينما حاول تعيين حاكمٍ على كربلاء، إذ برزت قدرة العصابات المتنفذة في قتل أو إبعاد رجل الحكومة إذا ما شكّل تهديداً لمصالحهم. وقادت مثل تلك الوقاحة الباشا للمطالبة بحق أداء الحج [الزيارة] إلى ضريح الحسين، ومن ثم استعادة تأكيد الامتيازات المختصة بالمركز. فضلاً عن ذلك، نشطت في هذه المرحلة، مطالبة بعض أفراد الفئات الطبقية القوية المالكة على شاكلة السادة ورجال الدين بضرورة تدخل الحكومة بالضد من العصابات[1].

وفي صيف 1835 وقعت مواجهة بين الحاكم العثماني وسكان كربلاء. إذ كتب الوكيل السياسي البريطاني بأن الباشا يخطط للهجوم على المدينة بمعية 3000 جندي نظامي[2]. وأظهرت تقارير عام 1843 بأن الوالي العثماني وجد نفسه ضعيفاً للغاية بحيث لا يمكنه احتلال المدينة وإبرام اتفاق مع العصابات[3]؛ إذ اعتبر الاحتلال الطويل الأمد للمدينة أمراً غير مجدٍ ولهذا أعرب، بعد استعراض للقوة، عن استعداده للتسوية.

= **Beitrag zur Erforschung des irakischen Passionspiels** (Freiburg im Breisgau, 1975), p. 24.

(1) P.R.O., F.O. 248 /108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843;
العزاوي، **تاريخ العراق**، م7، ص65.

(2) **National Archives of India**, New Delhi, Foreign Department Proceedings (hereafter N.A.I., For. Dept. Proc), Political Consultations, 5 Oct. 1835, file nos. 16- 26, political agent in Turkish Arabia to secretary to the government of India, 27 July 1835.

(3) P.R.O., F.O. 195/ 204, «Translation of a Persian Account».

وقام الوالي العثماني بخرق التقليد المتبع حينما عيّن أحد الحكام الذي لم ينتمِ للسُّنة ولم يكن من بغداد، فضلاً عن الاعتراف الضمني بقوة التحالف الجديد الذي مثّلته العصابات المحلية ورعاتهم؛ فسرعان ما تولى «عبد الوهاب»، سليل العائلة العربية المالكة، المنغمس بروابط قوية مع العصابات العربية بزعامة الزعفراني، مسؤولية المدينة. وتعهد عبد الوهاب، في مقابل هذا التعيين، بزيادة المدفوعات إلى بغداد لتصل إلى 70,000 قران. بل أقدم الحاكم على تخصيص جزء كبير من عائدات البلديات لنفسه وسرقة كنوز اثنين من الأضرحة الرئيسة. واستخدم جزءاً من المال كمدفوعات للزعفراني في سبيل حمايته من خصمه ميرزا صالح، واكتسب نفوذاً على الشخصيات البارزة على شاكلة القنصل الإيراني من خلال إقراضه مبالغ كبيرة من المال. كما شجع الزعامات العربية المجاورة من خلال السماح بتخزين الغنائم في المدينة[1]؛ لتقع حكومة كربلاء مباشرة تحت أيدي العصابات التي شجعت على زيادة هجرة المتشددين داخل المدينة.

وعكست التقارير الواردة إلى مسامع البريطانيين في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، أنّ العديد من أفراد النخب في المدينة رغبوا في أن يقوم العثمانيون بالإطاحة بحكم العصابات، وهنا علينا أن نتساءل

(1) P.R.O., F.O. 248 /108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843. See E. J. Hobsbawm, **Bandits** (New York, 1969), pp. 73- 4:

كان قطاع الطرق أو أي مجموعة اجتماعية أخرى في حاجة للوسطاء الحضريين لتصريف بضائعهم ـ الدور الذي انزلق به السيد عبد الوهاب.

عن كيفية تمكن المواطنين من حشد التضامن الكافي في سبيل مواجهة جسورة أمام الوالي العثماني. ويكمُن الجواب بالتأكيد، إنه وفضلاً عن وجود العصابات المسلحة، لعب تجّار كربلاء دوراً حاسماً في ضمان الاستقلال النسبي الذي تمتّعت به مدينتهم. ففي الواقع استثيرت لدى هؤلاء مسألة الاستقلال الذاتي أكثر من غيرهم. ولم تكن الحوادث الشهيرة التي وقفت ورائها الأفعال التي قام بها غوغاء كربلاء مجرّد أعمال شغب أو عصيان بسبب أزمة غذائية على غرار إضرابات السوق في شمال إيران، وإنما لدواعٍ سياسية[1]. وكما هو حال الجموع في الأماكن الأخرى، كان عصيان عوام كربلاء موجّه نحو تحقيق هدف محدد: فقد رغبوا في أن يثبتوا بأن ممارسة العنف ستؤدي بالمحصلة للاستيلاء على المدينة شارعاً إثر آخر، الأمر الذي سُيكلف الحكومة ثمناً باهظاً للغاية. وسعوا إلى إبقاء قوات الحكومة المركزية «الدخيلة»، سواء المملوكية أو العثمانية، خارج أسوار المدينة قدر الإمكان. وغالباً ما دعموا الأسر المحلية بالثروة والنفوذ بالضد من الجنرالات المرسلين من بغداد[2].

لقد سعت الجماهير للحفاظ على أسلوبها في الحياة وحقوق المدينة في مواجهة المركزية العثمانية الحديثة. وفي المقابل، شكّلت الإصلاحات العثمانية استجابةً للنفوذ الاقتصادي والسياسي الذي مثلّته أوروبا الصناعية. فقد هاجم الإصلاحيون الأتراك نظام الالتزام

---

(1) من أجل متابعة إضرابات السوق في إيران، انظر:
Sir John Malcolm, **The History of Persia**, 2 vols. (London, 1829 edn.), i, pp. 443- 4.

(2) Cf. Hobsbawm, **Primitive Rebels**, pp. 110- 13.

الزراعي وغيرها من مؤسسات ما قبل العصر الحديث وسعوا إلى مركزة السلطة. ومع ذلك، أثارت هذه الإصلاحات سواء في المركز العثماني الممثل باسطنبول أو في محيط الإمبراطورية معارضة الفئات الاجتماعية على شاكلة الحرفيين المهرة والأفراد العسكريين المضطلعين بنظام الالتزام وعلماء الدين، الذين شعروا بأن مصالحهم باتت مهددة. ولهذا شهدنا في أعمال الشغب التي حدثت في كربلاء خلال ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأربعينياته زمراً تدافع عن نفسها لتنأى عن التغيرات الاجتماعية المتسارعة الوتيرة[1].

وفي غضون ذلك تحققت آمال الإمبراطورية العثمانية في إعادة تأكيد السيطرة المركزية. فقد وضعت معاهدة لندن لعام 1840، المدعومة من أربع قوى أوروبية، حداً لمحاولة الوالي المصري الاستيلاء على الإمبراطورية. وكان السلطان العثماني يأمل أيضاً، بعد استعادة سوريا، في السيطرة المباشرة على الحجاز. وراقب علي رضا باشا هذه الأحداث عن كثب من بغداد، وأدرك آثارها الإقليمية[2]. ومثلما أدى إعلان الإصلاحات إلى إطلاق شرارة التمرد في روميليا في عام 1841، الذي وقف وراءه الفلاحون المسيحيون التواقون لتحسين أوضاعهم، كذلك أدت ميول الإمبراطورية لسياسة المركزة إلى تحفيز ردود فعل عنيفة من الشيعة في جنوب العراق[3].

---

(1) Rudé, **Paris and London in the Eighteenth Century**, pp. 18- 23.

(2) R. Y. Ebied and M. J. L. Young, «An Unpublished Letter from 'Alī Pasha, Ottoman Governor of Iraq, to the Sharīf of Mecca», **Die Welt des Islams**, new ser., xviii (1976- 7), pp. 58- 71.

(3) H. Inalcik, «Application of the Tanẓīmāt and its Social Effects», =

ووصل في شهر سبتمبر/ أيلول من عام 1842 محمد نجيب باشا بصفته والياً جديداً على العراق في بغداد. وكان هذا المسؤول وزيراً سابقاً للعدل، وذا نزعة محافظة قوية وشوفينياً عثمانياً، كما امتاز بروابطه القوية مع السلطان الجديد عبد المجيد ـ ومع ذلك فقد عارض الإصلاحات لأنها منحت للأقليات الكثير. ولهذا قام الإصلاحيون بإبعاده عن اسطنبول ليكون والياً على ولاية دمشق في شهر يناير/ كانون الثاني عام 1841. وفي سوريا اقتنع نجيب باشا بالحاجة إلى المزيد من السيطرة المركزية؛ إذ حاول إخضاع البدو، وعامل الأقلية المسيحية بقسوة، ونجح في استبعاد المستشارين العسكريين البريطانيين من الولاية. وفي الواقع فقد أثار حفيظة القوى الأوروبية حين كان في سوريا، وعلى الرغم من أن اسطنبول نقلته إلى بغداد، إلَّا أنّه احتفظ بثقة السلطان(1).

لقد أراد نجيب باشا إنفاذ سيطرة قوية في العراق أيضاً، الأمر الذي عنى الدخول في مواجهة مع العشائر العربية والعصابات الحضرية في الجنوب الشيعي. وبعد حوالي أربعين يوماً بعد وصوله إلى بغداد شدّ الباشا رحاله في يوم 23 أكتوبر/ تشرين الأول إلى المسيب على نهر الفرات، بعد أن سبقه هناك السرعسكر [قائد العسكر برتبة وزير] سعد الله باشا بمعية بعض القوات، حيث أقام المعسكر. وأُوكل إليه الإشراف على الإصلاحات المتعلقة بقناة الهندية، التي تمّ التبرّع لها بالأموال حديثاً من حكومة أوده؛ إذ

= **Archivum ottomanicum**, v (1973), pp. 97- 127.

(1) C. E. Farah, «Necip Paşa and the British in Syria 1841- 1842», **Archivum ottoman icum**, ii (1970), pp. 115- 53.

ستساعد هذه القناة في تجفيف أراضي الأهوار التي اتخذتها العشائر العربية المتمردة ملجأً لها، وتعمل على تأمين وصول المياه للفلاحين المتململين في الحلة[1].

وبدأت الشائعات تتلاحق بشأن اعتزام نجيب باشا الزحف نحو كربلاء. وحينذاك، كتب الزعيم الشيخي الرشتي إلى القنصل الإيراني في كربلاء «بأن العديد من الفرس يجيئون إليه يومياً طلباً للنصيحة، ويتوسلونه بالذهاب إلى معكسر الباشا، أو الكتابة إليه من أجل معرفة نواياه»[2]. وكتب القنصل إلى الباشا خلال هذه المدة، إلا أن رسائله اختصت بذكر الأضرار التي لحقت بالمواطنين الإيرانيين جراء العصابات بدلاً من تناول مسألة التقدم المحتمل تجاه المدينة المقدسة؛ الأمر الذي أوقع العائلات الإيرانية بحالة من الذعر حيث بدأت تغادر متوجهةً نحو بغداد.

قرار الاجتياح:

في غضون ذلك أُرسل نجيب باشا من أجل تهيئة التدابير وأعطى كلمته بأنه يعتزم زيارة ضريح الإمام الحسين. وكانت إجابة السلطات البلدية فاترة؛ إذ لم تقدم له سوى كمية رمزية من المؤن، وأخبرته بقدرته على زيارة المدينة شرط بقاء قواته الرئيسة خارج المدينة وعلى أن لا يزيد عدد حراسه أو مرافقيه عن أربعة أو

---

(1) P.R.O., F.O. 248 /108, **Najib Pasha to political agent in Turkish Arabia** (n.d.) [autumn 1842].

(2) Ibid, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

خمسة أشخاص. ونتيجة لذلك، أبدى الباشا امتعاضه من هذا الرد، وهدد بالاستيلاء على المدينة بالقوة. وقبل الشروع بتقدمه في 18 نوفمبر/ تشرين الثاني، كتب إلى السفارتين البريطانية والفرنسية في إيران، شارحاً بالتفصيل الأسباب التي دعته للتفكير باتخاذ الإجراء العسكري.

وكان علي رضا باشا قد قدّم الطلب نفسه في العام السابق، إلَّا أنّه تلقى الجواب ذاته من زعماء المدينة القاضي بالسماح له بالقدوم بمرافقة عشرة أو خمسة عشر شخصاً فقط بوصفهم الحاشية. وفي نهاية المطاف عاد إلى بغداد من دون إجراء الزيارة. واعتبر نجيب باشا بأن سلفه قد أخطأ حينما قام بتعيين مواطنين من كربلاء بوصفهم ملتزمين والسماح بأن تصبح المدينة ملجأً للعناصر الإجرامية. وأعرب عن اعتقاده بأن إقصاء الباشا من منطقته يشكل «دليلاً نهائياً للتمرد في المدينة»[1]. فقد كان لحذف اسم السلطان العثماني من الأدعية الختامية في صلاة الجمعة وهي الإشارة التي تم الأخذ بها في أماكن أخرى من العراق رمزاً آخر لمدى استقلالية كربلاء[2]. وهنا أثبت علماء الدين في المدينة ولمرة أخرى معارضتهم للحكم العثماني السُّني.

وذكر نجيب باشا بأنه اعتراه القلق من العنف الذي مارسته العصابات في كربلاء، متهماً الزعفراني ورجاله بالقتل والسرقة متى شاؤوا. وأفاد الباشا بأن زعيم العصابة كان قد سرق حتى علماء الدين

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

البارزين وأقدم على اغتصاب سيدة ذات صيت وسمعة ثم قتلها[1]. ومع ذلك، ألقت الآثار الاستراتيجية لوضع كربلاء بظلالها على نفسه وأزعجته كثيراً. فقد رأى بأن ثمّة معقلاً مهيمناً للإيرانيين؛ إذ اشتكى من أن عشرة الآف من الرعايا الإيرانيين قد تجمعوا في المدينة المقدسة، في الوقت الذي لم يوجد فيه مثل ذلك التركز للأتراك في إيران. وشدّد على أن جميع المسلمين يبجلون الأضرحة في كربلاء، وأنّ المكان ينتمي إلى الإمبراطورية العثمانية وأنّ لا حق للإيرانيين سوى في أداء الزيارة هناك لمرة واحدة في السنة[2]. وكان لمثل ذلك المركز السكاني الإيراني، المسيطر عليه من العصابات، الذي وقع جزؤه الخلفي مع العشائر العربية القوية المجاورة، قد مثّل حصان طروادة أمام الحكومة متى ما اندلعت الأعمال العدائية مع إيران[3].

وعليه، فقد استجابت المدينة لتهديد الباشا في منتصف شهر نوفمبر/ تشرين الثاني عبر عقد الاجتماعات وتوحيد الصفوف.

---

(1) Ibid., Najib Pasha to political agent (n.d.),

وأكد سوء خلق إبراهيم الزعفراني ما تناوله التنكابني في كتابه «**قصص العلماء**»، حيث ذكر: «إبراهيم الزعفراني من كربلاء، وكان من زعماء أشرار تلك الديار... وقد كان جناب الأستاذ [يقصد السيد إبراهيم ابن السيد محمد باقر الموسوي] في مشقة وضيق من هذا الشرير حتى إنه ضرب في مجلس الأستاذ كاسة [إناء] على الأرض وكسرها يريد مال الفقراء وأموال الهند حتى يصرفها، وكان في ذلك المجلس الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر، وكان بيده شيء فضرب به رأس السيد إبراهيم لسوء أدبه وانكسر ذلك الشيء». انظر: التنكابني، النسخة المترجمة، ص22 -23. [المترجم].

(2) P.R.O., F.O. 60 /96, **Najib Pasha to Lt. Col. Sheil** (n.d.).

(3) P.R.O., F.O. 248 /108, **Najib Pasha to political agent** (n.d.).

وتوصلت النخبة في البداية إلى توافق بالآراء جاء بمقتضاه ضرورة رفض دخول قوات نجيب باشا والدفاع عن المدينة، فضلاً عن اقتراح رشوة الأخير بمبلغ من المال. في الوقت الذي أظهر فيه زعماء العصابات تصميماً خاصاً على إبقاء الأتراك خارجاً، وذلك لتهديد سيطرتهم على المدينة؛ إذ أدى هروب الأسر الإيرانية الموسرة والمتنفذة إلى بغداد، إلى بث الذعر في صفوف المتشددين، الذين وقع عليهم الضغط من أجل البقاء مع كل تلك الموارد الواسعة في المدينة[1].

لقد دخلت العصابات في جدال مفاده بأن حصار الحاكم السابق في عام 1824 قد باء بالإخفاق. وفضلاً عن ذلك، فقد شددوا على ضرورة دفاع الشيعة عن المدينة المقدسة من الغارات التركية السُّنية. ولم يبقَ أمام الحرفيين وأصحاب المتاجر أي خيار سوى البقاء بسبب تخوفهم من فقدان الممتلكات (غير المنقولة في جُلها) التي ملكوها ووجب عليهم تركها الآن. وكان لاختيار أحد أفراد الأسرة الملكية القاجارية البارزين، على غرار ظل السلطان [ظل السلطان ابن فتح علي القاجاري]، البقاء (في منفاه السياسي) قد منحَ شحنة عاطفية إلى أفراد الطبقتين الفقيرة والوسطى الإيرانيتين[2].

وحاول القنصل الإيراني في بغداد التفاوض مع نجيب باشا، طالباً مهلة من ستة أشهر للسماح للإيرانيين بمغادرة المدينة. وذكر

---

(1) P.R.O., F.O. 60 /96, **Najib Pasha to French consul** (n.d.).

(2) Ibid., Farrant to Canning, 22 Apr. 1843; F. O. 248 /108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

لاحقاً بأنه كتب إلى الزعيم الشيخي الرشتي رسالتين حذره فيهما من أن الوالي العثماني الجديد جدي إلى أبعد الحدود في تهديده باحتلال المدينة، إلا أن الرشتي قال بأنه لم يستلم أياً من تلك الخطابات[1]. في الوقت الذي رفض فيه نجيب باشا أي اقتراح يقضي بتأخير دخول المدينة لمدة ستة أشهر.

وحاول العديد من زعماء المدينة، ليس من ضمنهم زعماء العصابات، التفاوض مباشرةً مع الوالي العثماني؛ إذ قصد الأمير الإيراني المنفي ظل السلطان، والرشتي، وعبد الوهاب، وغيرهم من أفراد النخب سويةً معسكر الباشا في المسيب. إلا أن نجيب باشا طالب بأحقية تمركز من 300 -500 فرد من القوات داخل المدينة، وأصرّ على وقف العصابات لعمليات الابتزاز التي تضطلع بها، وإن الزعفراني جاء إليه من أجل إجراء مقابلة. وفي الوقت الذي أجاب فيه عبد الوهاب بإمكانية تمركز بعض القوات في كربلاء، إلا أنّ العصابات لن توافق على أي شروط أخرى. وحينما عرض حاكم المدينة مقدرته في قتل الزعفراني إذا ما أتيح له الوقت الكافي، أبدى الرشتي استعداده للتخلي عن الزعفراني. فعلى الرغم من وجود التحالفات المعقودة بين الأعيان وأرباب الأعمال الموظفة دعمها لأية مافيا، إلا أن الأعيان عموماً كانوا قد اعتبروا المافيات من الأمور التي يمكن التضحية بها. ومع أن محاولات أخرى بذلت من أجل

---

(1) P.R.O., F.O. 248/ 108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843; F.O. 60 /95, **Persian agent at Baghdad to Hajji Mirza Aqasi** (n.d.) [Jan. 1843].

التفاوض الذي تعثر بسبب تصلب موقف كل من العصابات ونجيب باشا، إلا أن كل من الرشتي وظل السلطان كانا قد نازعا بشدة من أجل التوصل إلى تسوية تقضي بالسماح للقوات التركية بدخول المدينة[1].

وطالب نجيب باشا حينما كتب في 11 ديسمبر/كانون الأول 1842 إلى ظلّ السلطان والرشتي بتحذير الإيرانيين والنأي بأنفسهم عن العصابات ومغادرة المدينة أو الالتجاء إلى ضريحي الحسين أو العباس. وحذّر الزعيمان من اعتزامه استخدام القوة بالضدّ من العصابات الأمر الذي سيثير معارضتها له، لكنه في الوقت نفسه عرض حمايته للمدنيين المحايدين. وقال: «إن أي فرد من أهالي المدينة سيلتجيء إليك، سأضمن وأحقّق له الأمـان»[2]. وبالتالي عكس اعتراف نجيب باشا هذا بأنه تفاوض بناءً على حُسن النيّة، إلّا أنّه حاول أيضاً من خلال تعهدات السلامة التي طرحها للوقيعة أو دق إسفين بين أفراد التحالف الكربلائي. وعلى الرغم من ذلك، فقد أخفق في فصل الحرفيين الإيرانيين عن العصابات، وذلك بسبب عدم مقدرتهم تحمل التكلفة الباهظة المفاجأة لعملية الانتقال بعوائلهم خارج المدينة، الأمر الذي أوجب عليهم البقاء واتخاذ موقف ما.

---

(1) تمّ تناول مفاوضات الخريف بالتفصيل في:

P.R.O., F.O. 248/106, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

(2) P.R.O., F.O. 60/ 97, Najib Pasha [to Zillu's Sultan or Sayyid Kazim Rashti], 11 Dec. 1842. Cf. Muhammad «Nabil» Zarandi, **The Dawnbreakers** [Matali' i anvar], partial trans. **Shoghi Effendi Rabbani** (Wilmette, 1974), p. 36.

التقدم نحو كربلاء:

شَرَع زعماء العصابات باستعداداتهم المحمومة للدفاع عن المدينة، ورتبوا تحالفاتهم مع العشائر العربية التي جاءت هناك من أجل تفعيل الجهد. وبالمقابل أبدى الوالي العثماني قلقه وأرسل السرعسكر سعد الله باشا بمعية ثلاثة أفواج من المشاة وفوج خيالة وعشرين مدفعاً. ووصل تقريباً في 19 ديسمبر/ كانون الأول 1842 إلى إمام نك Imam Nuk [(1)] التي تبعد ميلاً ونصف الميل جنوب شرقي كربلاء. وعلى الرغم من تلقيهم نيران متفرقة من القناصة إلّا أنّهم لم يردوا بالمثل. وأثار وصولهم محاولة أخرى من المفاوضات قادها مرة أخرى كل من الرشتي وظل السلطان اللذين طرحا خلالها إعطاء رهائن من العصابة مقابل الانسحاب التركي والإبقاء فقط على خمس مئة رجل. وعلى الرغم من ذلك لاقى هذا المسعى الإخفاق بسبب رفض نجيب باشا لهذه الشروط حتى بعد موافقة سعد الله باشا عليها[(2)].

---

(1) يستبعد أن يكون المقصود بذلك موقع قلعة النواب (أو قلعة الهندي) التي تقع في الجنوب الشرقي من كربلاء وعلى بعد 4 كيلومترات، حيث شيد هذا الأثر التاريخي نوازش علي خان الكبير ابن علي رضا خان النواب اللوهوري من القزلباش في عام 1296 هـ (أي في عام 1878 وهو تاريخ لاحق من الحادثة أعلاه)، وكان هذا الرجل من الشخصيات المرموقة في الهند ومن الأثرياء الذين عرفوا بالنواب. انظر: آل الطعمة، سلمان هادي، تراث كربلاء، ط 3، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة من إصدارات بغداد عاصمة الثقافة العربية، 2013، ص396. [المترجم].

(2) N.A.I., For. Dept. Proc, **Secret Consultations,** 10 May 1843, file nos. =

وبعد انقضاء اليوم الذي وصلت فيه الرسالة السلبية من الوالي، وتقريباً في يوم 22 ديسمبر/كانون الأول أرسل سعد الله باشا جنوده لاحتلال بعض المواقع المواتية. وعلى الفور أبلغ المراقبين المتواجدين على جدران المدينة أبناء العشائر العربية وعمال وحرفيي كربلاء بتحركات القوات الاستراتيجية تلك. ونتيجة للتخوف من الهجوم، تجمع الغوغاء وخرجوا للانقضاض على الجنود الذين أُجبروا على الانسحاب. واستطاعت الحشود الاستيلاء على العديد من قطع المدفعية وتبعثر الآخرون وانكفأوا مع غروب الشمس. وفي الوقت الذي بدا فيه أن هجوم الحشود قد حمل عنصر العفوية، فإن الناس بالكاد تصرفوا على نحوٍ عشوائي. وكان ذلك بمثابة دليل آخر عكس مدى تطرف العوام وعدم ثقتهم بالعثمانيين[1].

ومن المحتمل أن تعزز المزاج المتصلب للجموع نتيجة للمماحكات الدينية. ومع ذلك، نجح الرشتي بمفاوضاته مع العثمانيين، إذ أصبح موقعه داخل المدينة أكثر قوة. وفي المقابل لم يتمنَ زعيم العصابة ميرزا صالح والعلماء الأصوليون أن يحدث ذلك. فقد كتب أحد أتباع الرشتي فيما بعد قائلاً: «مهما سعى السيد الكريم في إخماد نار هذا التمرد من خلال التراضي وإبداء الحِلم،

= 5- 10, **Persian consul general**, Baghdad, to Mirza ‘Abdu’l Husayn Khan, Dec. 1842; P.R.O., F.O. 248 /10, Farrant to Canning, 15 May 1843; F.O. 195/ 204, «Translation of a Persian Account»; **Zarandi, Dawnbreakers**, p. 35.

(1) P.R.O., F.O. 248/ 108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

فإن غرماءه يعلنون بأنهم يفضلون أن يروا نساءهم وأطفالهم سجناء في أيادي الأتراك بدلاً من أن يسوى هذا النزاع على يديه»[1].

وأشار مصدر مناصر للزعيم الشيخي في عام 1888 بأن العلماء الأصوليين ساعدوا في تحريض الحرفيين لمهاجمة القوات العثمانية من أجل إعاقة مسعى الرشتي جزئياً. وانتشرت إشاعة مفادها أنّ أحد رجال الدين قد رأى في الحلم العباس، أخ الإمام الحسين، يطالبه بإعلان الحرب المقدسة بالضد من الأتراك ويَعِده بالظفر المطلق[2]. وأسهمت مثل تلك الشائعات المتعلقة بتلقي المساعدة الخارقة للطبيعة في المدن المقدسة في تعزيز الشعور بأن الأماكن المقدسة منيعة ومحصنة، فضلاً عن إسهامها في تشكّل العقلية الشعبية ذات النزعة القتالية لدى المواطنين. ولكن على المستوى العملي، لم يكن لدى العمال والحرفيين سوى خيار البقاء والقتال. وساعد عملهم هذا بدون شك على تثبيط عزم العثمانيين وما رموا إليه من أهداف. ومن جانب آخر فقد اتضح بأن أفعال الجمهور في التمرد كانت بمعزل عن العصابات.

حصار كربلاء:

على إثر أحداث الشغب التي قام بها الغوغاء بالضد من القوات التركية، هيأت العصابات تحضيرات مكثفة للصمود بوجه الحصار،

(1) Muhammad Karim Khan Kirmani, **Hidayat at talibin** [Guide to the Seekers] (Kirman, A.H. 1380), p. 153.

(2) Zarandi, Dawnbreakers, pp. 35- 6.

بالاعتماد على الملكات العسكرية والفنية التي حملها الفارون من الجيش بأصنافه العديدة؛ إذ تمّ منع أي شخص من مغادرة المدينة، على الرغم من عدم توفر وسائط النقل بحلول ذلك الوقت. وفي ما تبقى من شهر ديسمبر/ كانون الأول قام الأتراك فيه بإطلاق النار على المدينة بهدف ترويع السكان. ومع نهاية شهر ديسمبر/ كانون الأول كتب ظل السلطان من معكسر السرعسكر إلى القزويني، ومن ثم في بغداد، بأن آلاف الإطلاقات النارية التي أُطلقت على المدينة قد أضرت بعشرات المباني، بما فيها الأضرحة. وقدم تقديراً بوفاة أربعين شخصاً من السكان نتيجة للقصف المدفعي، أما الخسائر التركية فقدرها بما يقارب الألف إصابة. وذكر بأن العثمانيين، الذين جندوا بالإكراه سائسي البغال في نقلهم وإمدادهم، «يعاني معسكرهم أيضاً من محنة كبيرة تكاد تقترب من المجاعة، ولكن في كربلاء الغذاء وفير ورخيص»[1].

وفي الأول من شهر يناير/ كانون الثاني 1843 تقريباً، ترك كل من القزويني والقنصل الإيراني، ممثلا الفصيل الإيراني داخل المدينة، بغداد، وشرعا بجولة جديدة من المفاوضات مع نجيب باشا. ولكن، وخارج سياق المزاج السائد في كربلاء، توصل زعماء المدينة إلى رفض الشروط. ولهذا كتب الرشتي إلى القنصل الإيراني حاثاً إياه على القدوم إلى كربلاء، إلا أن الأخير فضل

(1) N.A.I., For. Dept. Proc, **Secret Consultations**, 10 May 1843, file nos. 5- 10, Zillu's Sultan to Aqa Sayyid Ibrahim, **Dhu'l Qa'dah** 1258/ December 1842; P.R.O., F.O. 248 /108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

الانعزال والأمان الذي تقدمه بغداد. وعلى نحوٍ مأساوي، فسّر أولئك الذين بقوا في المدينة المحاصرة فعله هذا بكونه إشارة على عدم حدوث هجوم وشيك[1].

لقد أظهر مواطنو كربلاء خلال الحصار التزاماً عنيداً ضمن تشكيلة من الطبقات الاجتماعية سعت للحفاظ على الاستقلال المحلي. وكمنت جذور هذا الموقف في العقلية الشعبية التي سادت خلال التمرد. فعلى الرغم من التقدير غير الواقعي لمسافة إطلاق النيران الموجه ضدهم، إلا أن موقفهم قد ارتكز نوعاً ما على خبرة محلية؛ إذ أولاً، تمكن في الواقع، تحالف العصابات الحضرية، المكون من الغوغاء ورجال العشائر، من تفادي احتلالين خلال الأعوام العشرين السابقة، آخرها كان في عام 1835. فقد اعتاد سكان كربلاء على وجود حكومة ضعيفة وفاسدة في بغداد تمكنوا من رشوتها أو مواجهتها. ومع ذلك، بقوا على جهالة بالتغييرات الجذرية التي أحدثتها الإصلاحات وتطبيقاتها في الأراضي العثمانية، فضلاً عن عدم تأقلمهم لغاية هذه الحقبة مع تنامي السياسة المركزية المفرطة التي استتبعت تلك الإصلاحات. ثانياً، أدى ضعف وسائل الاتصال بين زعماء كربلاء في داخل المدينة وخارجها إلى التقليل من شأن الخطورة. ثالثاً، ترويج الشائعات التي مفادها أن شاه إيران سيرسل جيشاً مكوّناً من عشرين ألف رجل لمساعدة المدينة المحاصرة، فضلاً عن وعد زعماء العشائر العربية بإرسال تعزيزات

(1) P.R.O., F.O. 60/ 95, **Persian agent at Baghdad to Hajji Mirza Aqasi** (n.d.) [Jan. 1843]; F.O. 248/ 108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

أخرى مكونة من اثني عشر ألف فرد[1]. وعززت هذه الأوهام القائلة بمقدم المساعدات الخارجية الروح المعنوية وجعلت الناس أقل استعداداً لتقديم التنازلات.

وفي النهاية، خضع رأي الجمهور للمؤثرات الدينية، فسرعان ما تأججت الكراهية بالضد من السُّنة لدى العصابات وبقية الزعامات الأخرى في المدينة؛ إذ اصطف التجار والعمال على جدران المدينة وألقوا إهاناتهم البالغة على الأتراك والشخصيات السُّنية المقدسة. وأسهم رجال الدين في إذكاء الحقد الطائفي، على الرغم من كونهم لم يشاركوا في القتال الفعلي، إلا أنهم ساعدوا في إصلاح الجدران المتضررة. وأحبطَ المسؤول الديني المشرف على ضريح العباس ـ الذي كان موقفه قد فوّت على الأتراك فرصتهم الكبيرة في الدخول ـ إحدى المحادثات من خلال وقوفه في الاجتماع وطرحه لعمامته على الأرض والقول بتكفير أي شخص يتحدث عن استسلام المدينة وزوجاتهم لصالح الأتراك «الكفار». وصرّح بعض الوعاظ بشجاعة بأن المدينة منخرطة في حرب مقدسة. وعلى الرغم من أن الفكر الشيعي التقليدي، وخلال عصر غيبة الإمام، لم يطرح للمؤمنين فكرة شن حرب مقدسة ضد المسلمين السُّنة، إلا أن رجال الدين وضعوا مثل تلك التفاصيل الشرعية الدقيقة جانباً خلال فترة الحصار[2]. فقد

---

(1) P.R.O., F.O. 248/ 108, **Farrant to Canning,** 15 May 1843.

(2) Ibid.; see Norman Calder, «The Structures of Authority in Imami Shi'i Jurisprudence» (School of Oriental and African Studies, Univ. of London Ph.D. thesis, 1980), pp. 147- 51.

وثمة تساؤل آخر عن ما إذا كان من الممكن شن حرب مقدسة دفاعية ضد غير =

كانت التعاليم التقليدية شأناً واحداً، أما الخطاب الحماسي لرجال الدين اليائسين فكان شأناً آخر.

وكان الزعيم الشيخي الرشتي من أبرز المعارضين لتوجهات العقلية الشعبية السائدة؛ فقد أشار المقدم فارانت Farrant بأنه: «فعل كل ما في وسعه لمنع الأعمال العدائية، ودعا إلى تجنبها، وتعرض للاعتداء والتهديد، ولم يستمعوا إليه»[1]. وعلى الرغم من أن الزعفراني قد أعلن نفسه تابعاً للرشتي، إلّا أنّ تصرفات الزعيم الرشتي قد برهنت على تفضيله الأكبر لحكومة تقليدية لأهل السُّنة على شبه الفوضى حتى وإن تولى زمامها عصابة موالية للشيخية. لقد استند التحالف الذي قادته عصابة كربلاء في المقام الأول على ممارسة العنف والإكراه بنفسها، على الرغم من أنّ فكرة الاستقلال المناطقي قد لاقت الحماسة ولعبت دوراً أيضاً. ولهذا تجلت نقاط الضعف وإمكانية السقوط في مواجهة قوات أقوى. وفي الوقت نفسه أبدت النخبة القديمة المالكة للأراضي بعض أوجه التناقض والتردد في اختيار العصابات أو العثمانيين، على الرغم من أنها لم تجرؤ على التحدث على غرار الرشتي.

= المسلمين في زمن غيبة الإمام. ففي الربع الأول من القرن التاسع عشر جادل علماء الأصولية المتشددون مراراً في إمكانية حدوث ذلك، مع الإشارة إلى روسيا. انظر:

A. K. S. Lambton, «A Nineteenth Century View of Jihad», **Studia Islamica**, xxxii (1970), pp. 179- 92; Algar, **Religion and State**, pp. 79- 80; Arjomand, «**Shi'ite Hierocracy**», pp. 52 ff.

(1) P.R.O., F.O. 248/ 108. **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

وتمحورت وجهة نظر الأقلية الشيخية بالأحداث على ضرورة المشاركة في الأفكار الألفية. فقد كرّس الرشتي، وعلى نحوٍ تقليدي، صيام شهر رمضان لمناقشة سمات المهدي الموعود الذي سيعيد العدالة إلى العالم. وحل شهر الصوم في شهر أكتوبر/ تشرين الأول 1842، الذي أظهر، على نحوٍ متزايد، إمكانية غزو نجيب باشا فيه. وذكر شاهد عيان بعد ستة أو سبعة أعوام لاحقة كيف وضّح الرشتي مقدم هذه الشخصية المُخلّصة الصفات بتفاصيل محددة في تلك السنة[1]. فقد حدث الحصار في الأشهر الأخيرة من العام الهجري 1258، في الوقت الذي سادت في العالم الشيعي خلال القرن التاسع عشر التكهنات الإيحائية المبشرة بظهور (المهدي) الموعود في عام 1260هـ/ 1844م، في مدة لا تزيد عن عام واحد[2]. ففي الحلقات الشيخية، حيث لاقت مثل تلك التكهنات تركيزاً خاصاً، تم الربط بين الطمأنة السياسية وتحاشي الحرب المقدسة بالضدّ من السُّنة مع توقعات الظهور الوشيك للمنقذ الخارق.

وشهدت الأيام الخمسة التي أعقبت انهيار المرحلة الرابعة من

---

(1) Al Qatil ibn al Karbala'i, «Risalah», printed in Asadu'llah Fadil Mazandarini, **Tarikh i zuhur al haqq** [History of the Manifestation of Truth], iii (Tehran, n.d., c. 1944), pp. 506- 7; Abbas Amanat, «The Early Years of the Bābī Movement: Background and Development» (Univ. of Oxford D.Phil, thesis, 1981), pp. 44- 5.

(2) انظر على سبيل المثال:

Mrs. Meer Hassan Ali, **Observations on the Mussulmauns of India**, first publ. 1832 (Karachi, 1978 edn.), p. 76; Amanat, «Early Years of the Bābī Movement», pp. 78 ff.

المفاوضات نشاطاً محموماً من كلا طرفي النزاع. فقد واجه زعماء العصابة في كربلاء صعوبات جمة تعلقت بتموين وتحصين الخمسة آلاف فرد من العشائر العربية الذين تجمعوا بين جنبات الجدران للإسهام في جهود الدفاع. وغدت الذخيرة شحيحة ونادرة للغاية بحيث دفعت الناس لانتزاع القضبان المحيطة بضريح العباس وإذابتها من أجل الإطلاقات[1]. وفي المقابل، واجهت القوات التركية معاناة كبيرة أيضاً بسبب ارتفاع منسوب الفرات الأمر الذي أعاق وصول إمدادات المؤن القادمة من بغداد، ناهيك عن معاناتهم من البرد. ومن خلال استخدام اليد العاملة العربية والقصف المدفعي، استطاعوا قطع بساتين التمور التي حمت جدران المدينة، وفي النهاية خاضوا معركة شرسة مع قوات العصابة من أجل الحصول على موقع جديد أمام الضريح خارج المدينة[2].

الاحتلال:

دفعت المشكلات اللوجستية والمعدل المرتفع للفرار بسعد الله باشا لاتخاذ قرار بشأن التقدم أو الانسحاب الكلي، وفي العاشر من شهر يناير/ كانون الثاني تقريباً تقرر عن الاجتماع الذي عقده الضباط الاستيلاء على المدينة بالقوة. وفي 12 من شهر يناير/ كانون الثاني أحدث القصف المدفعي التركي ثغرة في الجدار الفاصل من

(1) P.R.O., F.O. 195/ 204, «Translation of a Persian Account»; F.O. 248/ 108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

(2) P.R.O., F.O. 248/ 108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843; F.O. 60/ 97, Dr. John Ross to Lt. Col. Taylor, 22 Jan. 1843.

جهة النجف وبين أبواب الخان الكبير بما يكفي لشن الهجوم. ومع ذلك، أُقيمت جولة أخرى من المحادثات السلمية في هذه المرحلة وكان زعماء المدينة على وشك القبول بشروط السرعسكر، حينما أقدم زعيم العصابات الإيرانية ميرزا صالح على إلقاء خطاب حماسي شدد فيه على ضرورة ثقتهم بالرب والنبي وتحدي الأتراك إلى النهاية. فقد برز الإيرانيون بوصفهم متشددين، ربما لاعتقاد معظمهم وبقوة بأن قوات الشاه في الطريق لمساعدتهم.

ولهذا عاد المبعوث التركي خالي الوفاض إلى المعسكر، ليستهل القصف المدفعي الذي استمر حتى غروب الشمس، حيث هدأ كلا الجانبين نتيجة لليلة قارسة البرودة. وهدد رجال العشائر العربية، الذين بلغوا الآن ثمانية آلاف فرد قوي، بالرحيل بسبب وجبات الغذاء الرديئة والليالي الباردة وهم يحدقون بأبواب المدينة. ولذلك قامت العصابات بإسكانهم بين السكان المدنيين، حيث احتفلوا بعيد الأضحى الإسلامي حتى وقت متأخر. وعلى غرار جميع المسلمين المراعين لهذا اليوم المقدس، افترضوا بأن الأتراك سيحتفلون بهذه المناسبة أيضاً ويلازمون بيوتهم بدلاً من الالتحاق بوظائفهم. ومع ذلك، قام أفراد العصابات، ونتيجة لعدم ثقتهم بصمود العرب، بتسمير البوابات وإحكام غلقها[1].

لقد خطط الضباط العثمانيون لهجومهم؛ إذ قُسمّت القطعات إلى ثلاثة أقسام بقيادة آمر لواء الموصل الذي تزعم الهجوم. وتم

---

(1) P.R.O., F.O. 248 /108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843; F.O. 195/ 201, «Translation of a Persian Account».

تكليف القسم الأول بتنفيذ الاختراق، وتولى الثاني دخول المدينة وفتح بوابة النجف، أما الثالث فقد قاد عملية الاستيلاء على المعاقل القريبة منهم، محولاً المدافع الكبيرة نحو المدينة. وكحافز للقوات المحبطة، وَعد أحد الضباط بالسماح للمهاجمين للعمل بما يحلو لهم حالما يدخلوا، والتعهد بدفع 150 قرشاً على كل رأس من رؤوس اللوتية[1].

وقبل بزوغ فجر يوم 13 يناير/ كانون الثاني 1843، انطلقت تلك

---

(1) يمكن متابعة المصادر الأساسية للرواية التي أعقبت عملية الاحتلال في:
P.R.O., F.O. 248/108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843; F.O. 195/201, «Translation of a Persian Account»; F.O. 60/97, Ross to Taylor, 22 Jan. 1843; N.A.I., For. Dept. Proc, **Secret Consultations**, 22 July 1843, no. 41,

وأقر ذلك الأمر كلٌّ من ملا آغا Mulla Aqa من دربند Darband (مارس/ آذار 1843)؛ ويوسف الأسترابادي Yusuf Astarabadi إلى السيد حسين ناصرآبادي.
Sayyid Husayn Nasirabadi, Safar 1259 / Mar. 1843, in Sayyid Muhammad ‹Abbas Shushtari (ed.), «az Zill al mamdud» [**The Outspread Shadow**], Lucknow Arabic MS. in **the library of the Raja of Mahmudabad**, fos. 44a 51a (a collection of letters between the ulama in Iraq and in north India compiled in 1848).

أما المصادر الثانوية التي حوت على مواد مهمة أو معمقة فهي في الآتي:
J. G. Lorimer, **Gazetteer of the Persian Gulf**, ‘Oman, and Central Arabia, 2 vols. (Calcutta, 1908 15, reproduced London, 1970), i, pp. 1348- 58;

العزاوي، **تاريخ العراق**، م7، ص66 -8؛ علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، جزآن [الصحيح 6 أجزاء بثمان مجلدات المترجم]، (بغداد، 1969 [الصحيح ج2 طبع في 1971 المترجم])، ج2، ص116 -24.

الأقسام وتقدمت تحت غطاء كثيف من نيران المدفعية العثمانية. ووصلت تقريباً إلى الثغرة وبدون مقاومة تذكر؛ إذ زال الخوف باقتراب الأتراك. وحينذاك هرع كل من العرب والمواطنين للدفاع عن المدينة بقيادة زعيم العصابة العربية، إلَّا أنّهم لم يستطيعوا منع العثمانيين من السيطرة على موقع الثغرة. وخسر الأتراك 200 رجل خلال عملية الهجوم والاقتحام، في المقابل نقص البارود لدى قوات العصابات مما أجبرهم على الاحتماء بالبيوت المجاورة والاستمرار بإطلاق النار من هناك. وتسللت إحدى الأقسام العثمانية داخل امتداد الجدار المؤدي إلى بوابة النجف، وقتلت القائمين على الحراسة وفتحت البوابة؛ وعلى الفور قام سعد الله باشا بتحريك القوة الرئيسة إلى داخل المدينة، بينما قام ضابط آخر بإرسال إحدى الأقسام على امتداد الجدران لتأمين بقية البوابات، وقصد آخر وسط المدينة مما جذب إليه نيران القناصة من على أسطح المنازل. وعلى الرغم من ذلك، فَصل العديد من الرجال أنفسهم عن القوة الرئيسة بهدف مداهمة البيوت وإحراز الغنائم.

واضطرت الحشود المكونة من المدنيين ورجال العشائر العربية أن تكون بمواجهة القوة المتقدمة بمحاذاة الجدار؛ الأمر الذي دفعها للسعي، على نحوٍ محموم، للخروج من بوابات المدينة المغلّقة أو المزدحمة. وفي إحدى البوابات المفتوحة جزئياً أطلق الأتراك النار على الحشود وخلّفوا حصيلة مدمرة. وهرب الزعفراني بمعية 200 من رجالات عصابته من باب الحر، إذ كان لديهم المفتاح. وبقيت العصابات الإيرانية تقاتل بزعامة ميرزا صالح، وكذا فعل الحاكم

عبد الوهاب، بعدما أبعدت وأخرجت معظم أسر زعماء العصابات. وتبع الزعفراني عدة آلاف من العرب في أثناء هروبه من بوابة الحر. ولذلك، أرسل ضابط تركي ثلاثة آلاف جندي لملاحقة هؤلاء، وفي الجانب الآخر، تعرض العرب الفارّون إلى هجوم من الخيّالة الأتراك المعسكرين خارج المدينة؛ الأمر الذي أدّى إلى تفاقم نسبة الخسائر لدى العرب لدرجة بالغة.

وفي الوقت الذي سُحقَ فيه من مَر من بوابة الحر، قامت القوات بإطلاق النار عشوائياً على الحشود هناك مما دفع بمئات من المواطنين للهروب والعودة إلى المدينة للاحتماء بالأضرحة أو بمنزلي ظل السلطان والرشتي والأماكن التي حددها نجيب باشا كملاجئ. وأصبح منزل الرشتي ممتلئاً بالكامل لدرجة دفعت الناس للذهاب إلى فناء منزله؛ الأمر الذي أدى إلى سحق ما يقارب 66 فرداً تحت وطأة الحشد المذعور. وبحلول هذا الوقت فرّ الجزء الأعظم من رجال العشائر والعصابات من المدينة. ومع ذلك، عانى القسم التركي المتقدم وسط المدينة من نيران القناصة الكثيف؛ إذ دللت كثافة النيران على أنّ العديد من الحرفيين قد انضمّوا للمعركة من تلقاء أنفسهم. فقد شوهد العديد من هؤلاء بملبسهم العرقي الإيراني في القوات المعارضة. وحينما هربت النخبة المتنفذة، بقي العوام يدافعون عن بازارهم [السوق] ومدينتهم المقدسة. وأثارت هذه الحشود المعارضة غضب الجنود الأتراك[1].

---

(1) وللوقوف بشأن هذه النقطة الأخيرة، انظر:

= P.R.O., F.O. 248/111, **Taylor to Sheil**, 16 Feb. 1843; and F.O.

وحينما طاردت القوات التركية العرب المتقهقرين إلى ضريح العباس، تلقت إطلاقات نارية من المنارات. وحينذاك استسلم العثمانيون الهائجون لخوفهم وبدأوا بتسديد وابل من النيران على الحشد الساعي لنيل الملاذ هناك، فضلاً عما سببته حالة الذعر في وفاة المزيد نتيجة السحق تحت الأقدام. ومارس الأتراك مظهراً عدوانياً حينما أقدموا على سلب حلي النساء، وفي بعض الأحيان من خلال تقطيع الأطراف. ووصل القتال لغاية حرم الضريح المقدس، حيث قتل الأتراك العديد من أولئك الذين أعلنوا أنّهم من اللوتية. وامتلأت الشوارع المتاخمة لضريح العباس بالجثث المتعفنة التي سرعان ما قام الأتراك بإضرام النيران فيها من خلال استخدام النفط وتغطيتها بالبطانيات بهدف تأكيد عملية الاحتراق. وربما لقي ما يقارب 250 فرداً حتفهم خلال هذه الحادثة، وذبح حوالي 200 مدني في ضريح الإمام الحسين قبل دخول سعد الله باشا بنحو العاشرة والنصف صباحاً وإيقافه لأعمال سفك المزيد من الدماء.

وفي أثناء ذلك، انتشرت القوات في الخارج لنهب منازل المدينة وعاثت قتلاً واغتصاباً فيها. وغالباً ما مارست هذه القوات ضغوطها في إجبار المالكين على حمل ونقل البضائع المسروقة إلى المعسكر. وذكر الملا يوسف الأسترابادي بأنه وعلى الرغم من إصابته بجرح في رأسه إلّا أنّه أُجبر على حمل المنهوبات إلى المعسكر، وكتب قائلاً:

«ألقي الموتى أحدهم فوق الآخر إلى الحد الذي لم أتمكن فيه

248/111, **letter of Ross to Baghdad**, 17 Feb. 1843. =

من عبور الشارع إلا عن طريق المشي على الجثث. كما لو أنّي أسير نحو عالم الغيب، حيث لقيَ الكثيرون الهلاك... فعند مبنى ضريح سيدنا أبي الفضل العباس... لمحت كل شيء عند القبر المضيء حيث الأرواح القتيلة تتشبث به وتتوسل، تبحث عن مأوى وملجأ في داخله. فقد رأيت معظم الموتى في الأزقة والبازارات [الأسواق]»[1].

ولم يشرع القائد العثماني، الذي كان قد أوقف عملية مكافأة عن قتلِ كل لوتي، بكبح جماح ما كان أتباعه يقومون به من عمليات نهب إلَّا عند حلول مغيب الشمس. وبعد إجراء تحقيقات متأنية، قدر فارانت الخسائر بالأرواح في داخل المدينة بنحو 3000 فرد لقوا حتوفهم في ذلك اليوم، فضلاً عن 2000 فرد عربي آخر لقوا مصارعهم خارج جدران المدينة[2]. ومثّل عدد القتلى في داخل المدينة 15 ٪ من عدد سكانها الطبيعي، فيما خسر الأتراك 400 رجل.

قمع التشيُّع:

برز العامل الديني مرة أخرى في الصراع حينما حولت القوات

(1) Astarabadi to Nasirabadi, Safar 1259/Mar. 1843, in **Shushtari** (ed.), «az Zill al mamdud».

(2) P.R.O., F.O. 248/ 111, **letter of Ross to Baghdad**, 17 Feb. 1843; F.O. 248/ 108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.

قارن: العزاوي، **تاريخ العراق**، م7، ص66 7، الذي قدر العدد بنحو 4000 فرد. ورفع الإيرانيون الأعداد لتصل إلى 22000 فرد. وطبقاً إلى فارانت، فإن السيد عبد الوهاب كان قد قدَّر عدد سكان المدينة أثناء الحصار بنحو 20000 فرد، من ضمنهم ثمانية آلاف فرد من رجال العشائر، وستة آلاف فرد من العرق الإيراني.

التركية باحة ضريح العباس إلى حظيرة للثكنة العسكرية وربطت الحيوانات فيها، فضلاً عن قيام الجنود الفظين بغناء أغانٍ منحلة بهدف ترويع الشيعة المحبطين. وتلقى السرعسكر في يوم 15 يناير/ كانون الثاني مكتوباً أفاد عن اعتزام نجيب باشا زيارة المدينة المهزومة زيارة قصيرة. وفي هذا الوقت أخذ فقهاء الشيعة وبقية الأعيان على عاتقهم مسؤولية دفن غالبية الجثث المحروقة، بينما أخذت الكلاب تأكل الجثث في المقابر الجماعية. وحدثت في يومي 16 و17 من يناير/ كانون الثاني أعمال نهب إضافية في أثناء قيام القوات بالبحث عن الأسلحة في المنازل.

وفي يوم 18 من شهر يناير/ كانون الثاني وصل نجيب باشا إلى المدينة وكان في استقباله مجموعة من الأعيان. وحينذاك أدى الوالي صلواته في ضريح الإمام الحسين وأسدى احترامه إلى المقابر المقدسة، لكنه سرعان ما كشف عن نظام إداري جديد منهياً بموجبه ما تمتع به الشيعة من استقلال ذاتي في المدينة؛ إذ عيّن نجيب باشا حاكماً سُنياً على كربلاء، وأعلن بأنه في صدد تعيين قاضٍ سُنّي مساعد في كربلاء منسجماً مع ما يرتئيه القاضي السُّني في بغداد؛ فقد تولى القضاة السُّنة النظر بجميع الدعاوى القضائية، بل حتى في حالات شملت وجود طرفين من الشيعة في كربلاء. وعلى نحوٍ مماثل، عينت الحكومة واعظاً سنياً لأداء الخُطب بعد صلاة الجمعة وإزجاء البركات على السلطان العثماني[1]. ومع ذلك، هرب الآلاف من الشيعة العراقيين قاصدين إيران.

---

(1) P.R.O., F.O. 60 /96, **Najib Pasha to Persian consul**, 22 Jan. 1843.

وشرَع رجال الدين الشيعة، حينما أقلقهم ما نجم عن الكارثة والوضع الجديد المتمثل بالحكومة العثمانية المتشددة، بممارسة (التقية)، وألغوا من ناحية أخرى إقامة صلوات الجمعة الجماعية. كما توقف الشيعة عن أداء الصلاة التي تؤدّى بوضع أياديهم نحو الأسفل، وتظاهروا بأنهم متوافقون مع وجهة النظر السُّنية الطقوسية[1]؛ بل تميزت شعائر شهر العزاء، شهر محرم، الذي ابتدأ منذ الأول من شهر فبراير/ شباط، بأنها خافتة وتمارس على نحوٍ سرّي للغاية، فقد أدّت أنباء الهجوم إلى إحداث شعور بالإحباط لدى بقية الشيعة في العراق[2].

ردود الأفعال تجاه الكارثة:

تباينت ردود الأفعال تجاه الكارثة التي حلّت بكربلاء على نحوٍ كبير؛ إذ عادت مظاهر الحياة الاعتيادية إلى المدينة بحلول نهاية شهر إبريل/ نيسان، وذكر فارانت بأن السكّان من ذوي السمعة الجليلة كانوا قد أبدوا فرحتهم بطرد العصابات، وتذمّروا «من أن الفسوق الموجود في كربلاء بات يفوق الفسوق في أيّ مكان آخر». وأشار فارانت إلى أن العديد من المسؤولين الدينيين قد عَدّوا الحكم مجرد مصيبة حلت بالمكان[3]. في الوقت الذي أبدى فيه الأثرياء الناجون من الاحتلال سعادتهم بوجود سيطرة الدولة القوية.

---

(1) يقصد رفع اليد إلى منتصف الجسد خلال الصلاة وفقاً للمنظور السُّني [المترجم].

(2) P.R.O., F.O. 195 /201, «Translation of a Persian Account»; F.O. 60/ 95, **Persian agent at Baghdad to Hajji Mirza Aqasi**, 20 Dhu'l - Hijjah/22 Jan. 1843.

(3) P.R.O., F.O. 60 /70, **Farrant to Canning**, Baghdad, 22 Apr. 1843.

وكان زعماء التمرد من أبناء العوائل المالكة للأراضي على غرار «عبد الوهاب»، قد لاذوا بالفرار ونالوا ملاذهم لدى العشائر الصديقة، في الوقت الذي أبدى فيه نجيب باشا عفوه عنهم. ومع ذلك، عانى ميرزا صالح من مرارة السجن في كركوك حتى أُطلق سراحه. ومن جهة أخرى التمست العصابات العربية ملاذها في منطقة الهندية، إلا أن زعيمها الزعفراني كان قد تم إلقاء القبض عليه واقتيد إلى بغداد، وسرعان ما أُصيب بحمى السل الرئوي ليتوفى على إثرها. وطال الهروب زعامات كبريات العشائر العربية، وعلى نحوٍ آمن، بمعية رجالهم. وعلى الرغم من ضعف مغامرة نجيب باشا العسكرية المكلفة في إحداث تغييرات، على المدى الطويل نسبياً، في البنى الاجتماعية لكربلاء وتنظيمات العصابات، إلا أنها اتسمت بالاستمرارية؛ إذ في غضون ثلاث سنوات أعادت الإدارة الجيدة الازدهار إلى المدينة، في الوقت الذي خضع فيه التجار الإيرانيون، منذ ذلك الحين فصاعداً، للرسوم الجمركية الثقيلة سواء في داخل المدينة أو ضمن الأقاليم التركية(1).

وتجلّى ردّ فعل العالم الأصولي الشاب يوسف الأسترابادي، المشوب بالغيظ، تجاه الفئات الحاكمة(2)؛ ففي رسالة صريحة

---

(1) N.A.I., For. Dept. Proc, **Secret Consultations**, 28 Nov. 1846, file nos. 87- 96, H. C. **Rawlinson to Canning**, 29 Apr. 1846.

(2) ورحل الأسترابادي ليصبح طالباً للفقيه البارز مرتضى الأنصاري في النجف. ولمتابعة سيرة مختصرة عنه، انظر:

Muhammad Mihdi Lakhnavi Kashmiri, **Nujum as sama': takmilah** [Supplement to «Stars of the Heavens»], 2 vols. (Qumm, c. 1977), i, p. 395.

أطلق الأسترابادي العنان للحزن ومشاعر السخط التي تعتصره، وأعلن غاضباً «ألا يوجد أي ملك (سلطان) يحكمنا وملك يحكم إيـران!»[1]. فقد ألقى الأسترابادي اللوم صراحةً على السلطان عبد المجيد بسبب إصداره لأمر الهجوم، وعلى محمد شاه إيران [القاجاري] لإخفاقه في تقديم المساعدة للشيعة المحاصرين. وذهب إلى القول بأنه إذا ما كان ثمة عاهل، فعليه التمسك بالقرآن والدفاع عن الإمام علي؛ إذ مثّل النفور الذي أظهره الأسترابادي تجاه النظام الملكي ورغبته في إعلاء القيم الشيعية، البوادر الأولى للنزعة الجمهورية، بل قدم دليلاً قوياً، وإن كان غامضاً، عن مدى انتشار المشاعر المناهضة للنظام الملكي لدى بعض العلماء في المدن المقدسة خلال منتصف القرن التاسع عشر. ومع ذلك، فالأدلة القاطعة لمثل هذه الآراء تُعد من الأمور النادرة من ناحية أخرى[2].

وفسّر الزعيم الشيخي الرشتي حلول الكارثة بأنها عقاب إلهي ناجم عن إخفاق السكان في تقبل تعاليمه الألفية. كما رفض في العام اللاحق، سبتمبر ـ أكتوبر / أيلول ـ تشرين الأول 1843، التوسع

---

(1) **Astarabadi to Nasirabadi**, Safar 1259/March 1843, in Shushtari (ed.), «az Zill al mamdud», fo. 49b.

(2) انظر:

J. Chardin, **Voyages de monsieur le chevalier Chardin en Perse et autres lieux de l'orient**, 3 vols. (Amsterdam, 1709), ii, pp. 207- 8, 337; and A. K. S. Lambton, **State and Government in Medieval Islam: An Introduction to the Study of Islamic Political Theory**: The Jurists (Oxford, 1981), ch. 15.

في موضوع الشخص الموعود [المهدي]. فقد خشي من أن إعادة مطارحاته ستصيب المدينة بكارثة مماثلة، إذ كان الناس غير مستعدين لتبني وجهات نظره المتعلقة بالمهدي(1).

واستقبلت إيران أنباء الاستيلاء الدموي على كربلاء بمشاعر الحزن والغضب، ومن ثم بالتهليل للحرب؛ إذ حاول الفقيه البارز في أصفهان سيد محمد باقر الشفتي الضغط على محمد شاه لإعلان الحرب على العثمانيين من خلال التهديد بقيادة جيش مستقل مكون من 20000 رجل ودخول العراق(2). وعلى الرغم من ذلك، عبأ محمد شاه قواته، ولكن في النهاية لم يتخذ أية خطوات حربية(3).

---

(1) **Al Qatil ibn al Karbala'i**, «Risalah», p. 507.

كما أشار الأسترابادي للطبيعة المروعة للاحتلال، وكتب: «أيها الرب العظيم، ما هي المصيبة الكبرى! فقد شهدنا تجسيداً ليوم القيامة وفيه يفر المرء من أخيه، وصديقه، وابنه، وفصيلته التي تؤويه»، قارن سورة عبَسَ (80) الآيات: 34- 36 : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

Astarabadi to Nasirabadi, Safar 1259/Mar. 1843; cf.» Qur'an 80:34-36.

وفي وقت لاحق أشار الشيخيين أمثال كريم خان كرماني Karim Khan Kirmani بأن منزل السيد كاظم قد احتُرم بوصفه ملاذاً حتى في وقت تدنيس ضريح الحسين، مؤكداً على حرمة مقر إقامة الزعيم الشيخي،

Kirmani, **Hidayat at talabin**, pp. 153- 4; cf. Zarandi, **Dawnbreakers**, pp. 36- 7;

العزاوي، **تاريخ العراق**، م7، ص68.

(2) Alphonse Denis, «Question de Perse: affaire du Kerbela», **Revue de L'Orient**, i (1843), p. 139.

(3) تقلصت خزانة الحرب الإيرانية نتيجة لحملات محمد شاه غير الموفقة الأخيرة =

وبسبب التخمينات الألفية الواسعة الانتشار بقدوم المهدي الموعود في عام 1260/ 1844، فإن النهب غير الانتقامي الذي مارسه العدو السُّني لضريح شيعي مقدس قد رفع بالتأكيد من وتيرة التخمينات بظهور الإمام الغائب لنجدة الشيعة. ففي شهر مايو/ مايس 1844 قام سيد علي محمد، التاجر الشاب من شيراز الذي كان على علاقة، ولمدة وجيزة، بالشيخيين في كربلاء، بطرح ادعاءاته المتعلقة بكونه الباب أو بوابة الإمام الثاني عشر؛ الأمر الذي تسبب في إحداث ضجة كبيرة في المدن المقدسة في العراق[1].

لاقت دعوة الباب استجابة إيجابية لدى عدد كبير من الشيخيين؛ فقد تعززت حماستهم الألفية، كما لاحظنا أعلاه، من خلال تعاليم سيد كاظم الرشتي. ونجمت استثارة الباب المبكرة أو على الأقل في جزء منها، التي سرعان ما جنى آثارها في كل من العراق وإيران، من التكهنات الألفية الحاصلة نتيجة لمشاعر الغضب والإحباط التي اعترت الشيعة المتدينين بعد حادثة كربلاء. وسرعان ما

= ضد هرات؛ وفي الوقت نفسه خشي الصدر الأعظم المناوئ لرجال الدين من أن الحادثة ستسمح في انتعاش نفوذ علماء الدين؛ كما بذلت الحكومتان البريطانية والروسية نفوذهما الكبير بالضد من أي أعمال عدائية،

P.R.O., F.O. 60/95, **Sheil to earl of Aberdeen**, 14 Feb. 1843; N.A.I., For. Dept. Proc., **Secret Consultations**, 22 July 1843, no. 41, **Justin Sheil to secretary to the government of India**, 29 Mar. 1843; R. G. Wilson, **A History of Persia from the Beginning of the Nineteenth Century to the Year 1858** (London, 1866), p. 341.

(1) Moojan Momen (ed.), **The Babi and Baha'i Religions, 1844- 1944: Some Contemporary Western Accounts** (Oxford, 1981), pp. 87- 8.

انتشرت الحركة البابية بسرعة البرق في إيـران، وجذبت على وجه الخصوص علماء الدين من ذوي المراتب الدنيا، والتجّار الحضريين، وفئات السوق Bazaar Classes [أصحاب الدكاكين]. فقد تضمنت دعوة الباب، ما عدا ادعاءاته المتعلقة بمقدم الشخصية المُخلّصة، على إبطال الحظر الإسلامي على الفائدة المترتبة على القروض وتحسين أوضاع المرأة. وفي المقابل قادَ تنامي المعارضة، التي أثارها الدين الجديد[1]، إلى ممارسة الحكومة وعلماء الدين الأصوليين للاضطهاد بحقه، الأمر الذي أدّى إلى إشعال المصادمات والانتفاضات في عدد من المدن الإيرانية خلال الأعوام 1848 - 1852 [2].

الاستنتاج:

لـم تعطنـا المعلومـات المسـتقاة مـن المصـادر الأرشيفيـة والمخطوطات المعروضة أعلاه صورة مفصلة لتنظيمات العصابات والأنشطة في كربلاء فحسب، بل ساعدت على استجلاء الدور العام الذي اضطلعت به العصابات الحضرية النشطة في العديد من المدن في جنوب العراق وجميع أنحاء إيران خلال القرن التاسع عشر. فعلى الرغم من أنّ الحكومات القوية كان بمقدورها قمع

(1) يقصد الحركة البابية.[المترجم].

(2) انظر:

Moojan Momen, «The Social Bases of the Babi Upheavals in Iran (1848- 53): A Preliminary Analysis», Internat. Jl. **Middle East Studies**, xv (1983), pp. 157- 83.

المتشددين، إلّا أنّ تراجع سطوة الدولة في النصف الأول من القرن التاسع عشر فسح المجال أمام العصابات لأن تسيطر على مدن بأكملها. وكان للحروب مع الدول الأوروبية الحديثة على غرار الإمبراطورية الروسية قد أسهم في إضعاف العثمانيين والقاجاريين في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وبالتالي لم يكن لهما، في بادئ الأمر، سوى موارد شحيحة لتكريسها في ضبط ولاياتهما النائية.

ورداً على ذلك، سعى العثمانيون منذ عام 1826 إلى زيادة الموارد من خلال إلغاء الضرائب الزراعية والامتيازات وترشيد ومركزة البيروقراطية. ومع ذلك، اتسم الأسلوب الذي استهلّ بموجبه تنامي الحكومة بالضعف، ولذلك تم فرض المزيد من المركزية وفقاً لمؤثرات الأساليب الأوروبية الجديدة التي ساعدت بدورها في إذكاء التصادمات المناطقية الجهوية في العراق، فضلاً عن العنف في المناطق الحضرية وتزعم العصابات للانتفاضات التي بات انتشارها شائعاً. وخارج كربلاء، كان للصراع الدائر بين فصيلي الزقرت والشمرت في النجف، اللذين مثلا الأحياء الفقيرة والغنية في المدينة، قد أجهد الأخيرة بالعنف طيلة القرن التاسع عشر(1).

وفي إيران، غالباً ما أضحت الأحياء المتشاطرة على غرار حيدري ونعمتي Haydari and Ni'mati (التي عرفت بالأساس كتجمعات أو أخويات صوفية باطنية) والتي جعلت العديد من

---

(1) Longrigg, Modern Iraq, p. 288; Nieuwenhuis, Politics and Society in **Early Modern Iraq**, pp. 31- 2.

المدن مسرحاً لحرب الشوارع. فقد سيطرت العصابات على مدينة يزد في معظم أربعينيات القرن التاسع عشر، بل خضعت عملياً لمدة من الزمن لحكم إحدى العصابات(1). وغدت مدينة شيراز في معظم ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأوائل أربعينياته ممزقة بالخصومات الفئوية التي اشتبكت فيها، على نحوٍ شرس، الجماعات المتحالفة من الوجهاء وزعماء العصابات مع الحاكم المحلي الذي غالباً ما فقد السيطرة هناك(2).

يمكن عزو نشأة العصابات، لمدة قصيرة من الزمن في القرن التاسع عشر، من نهر الفرات إلى نهر أكسوس [جيحون] بوصفها زعامات شعبية تمتعت بنفوذ كبير، إلى أسباب عدة: أولها: افتقار كل من دولتي المماليك والقاجاريين القدرة على توظيف قوتهما بالسرعة والفعالية الممكنة لتشمل جميع أنحاء أقاليمهما، ويمكن عزو ذلك جزئياً إلى الإبقاء على جيوش دائمة صغيرة الحجم. ولذلك أخذت هذه الدول على عاتقها الاعتماد، على نحوٍ كبير، على الحكام المحليين المعينين، الذين اتسم معظمهم بالضعف أو الافتقار إلى الدعم الكامل من الحكومة المركزية؛ إذ كان لكثرة أعداد السكان البدو الرعاة، فضلاً عن التركزات الحضرية الكبيرة نسبياً،

---

(1) Momen, Babi and Baha'i Religions, pp. 106- 7.

(2) لمتابعة أوضاع شيراز، انظر:

Hasan Fasa'i, **History of Persia under Qajar Rule** [Farsnamih 'i Nasiri], trans. Heribert Busse (New York, 1972), pp. 235- 8, 262 - 7, 285- 7, 350 - 1; and **Amanat**, «Early Years of the Bābī Movement», pp. 382- 7.

والتضاريس الوعرة وانعدام الطرق وتقنيات وسائط النقل، قد جعل من السيطرة على الولايات أو الأقاليم أمراً متعذر مقارنةً بأوروبا المعاصرة.

وثانيها: لم يكن لدى الأعيان المحليين والحرفيين وأصحاب المحال والعمال في المدن العراقية والإيرانية سوى ولاء ضئيل أو معدوم تجاه الحكومة المركزية، ولهذا أدرك هؤلاء، في بعض الأحيان، بأن حكم العصابة هو حكم غير شرعي كما هو الحال مع حكم الدولة. وكان ذلك منطبقاً على وجه الخصوص على المدن الشيعية في العراق، وغالباً ما انطبق ذلك على إيران أيضاً. فقد أدّى قيام الحكومة بفرض الضريبة على الحرفيين بدون أن تقدم الخدمات المتعلقة بتوفير الأمن، إلى دفع هؤلاء في الغالب للتحالف مع مبتزيهم المحليين. وباختصار، كان لدى العصابات الحضرية في القرن التاسع عشر مصلحة مشتركة مع النخب المحلية والحرفيين المحليين في إبقاء الحكومة المركزية خارجاً. وأخيراً: غالباً ما أدّت الانقسامات الفئوية بين النخب المحلية على غرار الأعيان من ملاكي الأراضي وعلماء الدين، وبين أحياء المدينة، إلى التقليل من شأن التكافل والتضامن الاعتباري الحضري؛ الأمر الذي سمح للعصابات لأن تمارس سياسة «فرّق تسد».

وفي ظلّ هذه الظروف، غالباً ما وظّفت عصابات منتصف القرن التاسع عشر في كل من العراق وإيران، قوّتها المسلحة في خدمة التمرّدات التي وقف وراءها الأعيان المحلّيون أو الحرفيون، بالضدّ من الحاكم المعيّن مركزياً. ولذلك أصبح هؤلاء، في كثير من

الأحيان، زعماء محليين شعبيين، وتجاوزوا ـ على الأقل لمدّة من الزمن ـ خلفياتهم الابتزازية.

وفي كربلاء كان لتوفير الأمن على نحوٍ مؤقت وتعسفي بعض المزايا، فهو على الأقل، قد أسهم في إبقاء مزيد من الثروة في المدينة بدلاً من أن تؤول للعثمانيين، في الوقت الذي ضُمِنَ فيه تدفق الحجاج [الزوار] والتجار على نحوٍ متواصل. ودفع سكان المدينة ثمن حالة شبه الفوضى القاسية تلك. وعلى الرغم من ذلك، فقد أشارت الأدلة المتاحة بأن العوام والعديد من علماء الدين الشيعة كانوا قد فضلوا حكم العصابات وابتزازات الحماية على السيطرة المركزية السلطانية. (في الواقع، لقد خدم الهجوم العثماني فقط في تأجيج المشاعر المعادية للنظام الملكي [السلطاني] لدى بعض رجال الدين الشيعة). فمن دون الدعم الفعّال للجمهور، لم يُقّدر لكربلاء أن تتجنب القوات الحكومية المركزية لعقدين من الزمان. ومع ذلك، وقع الحرفيون بين خيارين مزعجين، ولهذا اختاروا أن يكونوا مُستغَلين من زعمائهم المحليين. ومن الممكن اعتبار الإفراط في المركزية، والحكم العثماني البيروقراطي خلال ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأربعينياته هو بحد ذاته استجابة أو رد فعل تجاه تصاعد وتيرة الصناعة والقدرة السياسية الأوروبية؛ الأمر الذي أسهم بالتالي في تحفيز العوام للدفاع عن استقلالية وضعهم المحلي.

كثيراً ما أدرك الباحثون الدور الذي لعبته المافيات في الدفاع عن مناطقها الإقليمية بالضد من سلطة الحكومة البعيدة. ومع ذلك، كان للطابع الحضري الذي اتسم به لوتية كربلاء على وجه

الخصوص مثار لعدد من التساؤلات. فينبغي على زعامة العصابة الحضرية التي قادت هذه الانتفاضات الشعبية تخويف أي شخص يروّج لتورخة الفترات المبكرة من تاريخ أوروبا الحديث بوصفه أمراً يخرج عن المألوف. وكثيراً ما لوحظت نظرة أفراد العصابات في باريس تجاه الثورة الفرنسية التي لم تكن أكثر من فرصة سانحة للنهب؛ إذ جادل هوبسباوم بأنه على الرغم من أنّ قطّاع الطرق من الفلاحين هم متناغمون «اجتماعياً» مع حاجات وتطلعات الطبقة الفلاحية المضطهدة التي انبثقوا منها، إلا أن قطاع الطرق الحضريين لم يكونوا اجتماعيين أو جماعة انعزالية Asocial [1]. وعلى الرغم من ذلك، كان للمشاركة الواسعة النطاق التي اضطلعت بها العصابات في حركات الاحتجاج الاجتماعي في المناطق الحضرية في عراق

---

(1) Hobsbawm, **Bandits**, pp. 84- 5.

يستحق هوبسباوم الثناء الكامل للفت انتباهنا لهذه الظاهرة، فهذا النقد انطوى على وجهة نظر بناءة. ومن أجل الاطّلاع على وجهة نظر نقدية أخرى تتقصى منهج هوبسباوم إزاء قطّاع الطرق الريفيين، انظر:

P. O'Malley, «Social Bandits, Modern Capitalism, and the Traditional Peasantry: A Critique of Hobsbawm», Jl. **Peasant Studies**, vi (1979), pp. 489- 502.

ومن أجل متابعة دراسات وتهذيبات مفاهيمية أخرى عن قطاع الطرق الريفيين، انظر:

L. Lewin, «The Oligarchical Limitations of Social Banditry in Brazil», **Past and Present**, no. 82 (Feb. 1979), pp. 116- 47; and Henk Driessen, «The 'Noble Bandit' and the Bandits of the Nobles: Brigandage and Local Community in Nineteenth Century Andalusia», **Archives européenes de sociologie**, xxiv (1983) pp. 96 -114.

وإيران القرن التاسع عشر تحدياً لهذا الأنموذج. ففي الواقع، يتوجب تسليط الضوء فيما إذا كان هنالك حقاً عصابة لا اجتماعية كهذه في المناطق الحضرية أو بغيرها. أو كما أشار أنتون بلوك Anton Blok، بأن جميع قطاع الطرق هم «اجتماعيون Social» بقدر ما يحدث ذلك ضمن إطار السياق الاجتماعي[1].

كان النجاح الذي رافق قطاع الطرق المنبثقين من فئات أو طبقات محددة، قد منحهم، بفضل ما نالوه جرّاء ثرواتهم ووسائلهم، مصالحاً وتحالفات واسعة النطاق. ومع ذلك، انخرط قطاع الطرق، سواء الريفيين أو الحضريين، في سلوك مناهض للمجتمع؛ إذ فرضوا استغلالهم على الفقير والغني، بل انضموا مع الانتفاضات الاجتماعية متى ما اقتضت مصالحهم بذلك.

وفي المقابل، ارتكز حكم اللوتية على تحالف هشّ من العصابات الفوضوية، وعكس في أثناء تزايد الفراغ الذي خلّفته السلطة الشرعية، حالة من عدم الاستقرار بل أثبت أنّه مجرّد ظاهرة انتقالية مؤقتة؛ إذ ازدهر ذلك الحكم حينما ضعفت الضريبة القديمة على الزراعة التي فرضها المماليك في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ولكن مع قدوم العهد الحديث، برزت الولايات المركزية لتفرض الأمن الصارم. وكان هجوم نجيب باشا نذيراً لأشياء مقبلة؛ إلا أنها حُلّت على نحوٍ تدريجي للغاية مع قدوم القرن اللاحق.

---

(1) Anton Blok, «The Peasant and the Brigand: Social Banditry Reconsidered», Comp. **Studies in Society and Hist**, xiv (1972), pp. 494- 503.

قائمة المصادر والمراجع

مصادر ومراجع القسم الأول

الكتب باللغتين العربية والفارسية:

- أحمد، كمال مظهر، **دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر**، بغداد، مطبعة أركان، 1985.
- اعتماد السلطنة، ميرزا محمد حسن خان، **تاريخ منتظم ناصري**، طهران، 1300 ق/ 1883، م3.
- إقبال، عباس، **حجة الإسلام حاج سيد محمد باقر شفتي**، يادكار، پنجم (1327 ش/ 1948 1949).
- آل الطعمة، سلمان هادي، **تراث كربلاء**، ط 3، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة من إصدارات بغداد عاصمة الثقافة العربية، 2013.
- آل محبوبة، جعفر الشيخ باقر، **ماضي النجف وحاضرها**، ط 2، بيروت، دار الأضواء، 1986، ج1.
- البزركان، رفعت رؤوف، **معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة**، ط1، بغداد، الأمراء للطباعة والتصميم، 2000.
- البصري، عثمان بن سند الوائلي البصري، مطالع السعود: **تاريخ العراق من سنة 1188 إلى سنة 1242هـ/1774 -1826**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف

وسهيلة عبد المجيد القيسي، الموصل، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، 1991.

- التنكابني، الميرزا محمد بن سليمان، **قصص العلماء: ورسالة سبيل النجاة**، ط2 مزيدة ومصححة، ترجمة: الشيخ مالك وهبي، قم، منشورات ذوي القربى، 1429.
- الحسني، عبد الرزاق، **تسخير كربلاء في واقعة الوالي محمد نجيب في عام 1258 هـ 1842م: وهي الواقعة التي أرّخت بكلمتي «غدير دم»**، بيروت، مطبعة دار الكتب، 1978.
- حسيني، محمد صادق، **مخزن الإنشا**، (تبريز 1274 ق/ 1857).
- حيدر، خليل علي، **العمامة والصولجان: المرجعية الشيعية في إيران والعراق**، ط1، الكويت، دار قرطاس للنشر، 1997.
- الخليلي، جعفر، **موسوعة العتبات المقدسة**، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1987، ج8 (قسم كربلاء).
- رضا، الشيخ أحمد، **معجم متن اللغة:** موسوعة لغوية حديثة، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1960، م5.
- العزاوي، عباس، **تاريخ العراق بين احتلالين**، بغداد (1953- 1954)، م6.
- العزاوي، عباس، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**، بلا. م، الدار العربية للموسوعات، بلا. ت، م7 (العهد العثماني الثالث 1831- 1872).
- كاشف الغطاء، محمد الحسين، **العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: تاريخ المرجعية الدينية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ط1، تحقيق: د. جودت القزويني، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، 1998.
- كشميري، علي محمد، **نجوم السماء**، (لكنو، 1303ق/ 1885- 1886).

- لسان الملك، ميرزا محمد تقي سبهر، **ناسخ التواريخ**، طهران، بدون ت، م1.
- لوريمر، ج. ج.، **دليل الخليج** (القسم التاريخي)، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، الدوحة، مطابع علي بن علي، د. ت.، ج4.
- لونكريك، ستيفن هيمسلي، **أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث**، ط4، ترجمة: جعفر الخياط، بغداد، بلا مكان طبع، 1968.
- محمد، مجيد، **معجم المصطلحات والألفاظ الأجنبية في اللغة العامية العراقية**، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.
- الوردي، علي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، بغداد، مطبعة الإرشاد، ج1، 1969، (من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر)، ج2، 1971، (من سنة 1831 إلى سنة 1872).
- وزيري، أحمد علي خان، **تاريخ كرمان**، تحرير: ح. فرمانفرمائيان، طهران، (1340ش/ 1962).

المجلات باللغة العربية:

- الأحمد، سامي سعيد، اللغة الآكدية في اللهجة العامية العراقية، **مجلة التراث الشعبي**، بغداد، دار الحرية للطباعة، السنة العاشرة، 1979، العددان الثالث والرابع.
- البستاني، مهدي جواد حبيب، وثائق عثمانية غير منشورة عن المقاومة العربية في النجف أواسط القرن التاسع عشر، **مجلة دراسات في التاريخ والآثار**، بغداد، مطبعة الأمة، ع8، 1991.
- جلاب، عبد علي كاظم، الكلمات الدخيلة في اللهجة الكربلائية في قاموس دانشكاهى، **مجلة جامعة كربلاء العلمية**، م4، ع3، سبتمبر/أيلول 2006.

- الحسني، عبد الرزاق، تسخير كربلا واستباحتها أو حادثة محمد نجيب باشا، **مجلة البلاغ**، السنة السادسة، 1976، ع3، و ع 4.
- مزبان، علي لازم، الألفاظ الفارسية في اللهجة العراقية، **مجلة دراسات إيرانية**، جامعة البصرة، 2006، ع3 5.

التقارير والوثائق غير المنشورة:

- **Najīb Pasha's letter to the Iranian consul in Baghdad**, attached in **translation to Sheil's dispatch of March** 9, 1843 (F.O. 60/ 96).
- **Report date February** 16, 1843, sent to Sheil in Tehran (F.O. 60/ 96).

الكتب والمراجع باللغات الإنكليزية والألمانية والتركية:

- K. S. Lambton, **Landlord and Peasant in Persia** (London, 1953).
- Akdikmen, Resuhi, **Langenscheidt Pocket Dictionary Turkish:** Turkish English & English Turkish, Berlin & Munich & Istanbul, Langenscheidt KG, 2006.
- Algar, Hamid, **Religion and State in Iran 1785- 1906: The Role of the Ulama in the Qajar Period**, Berkeley & Los Angeles & London, University of California Press, 1969.
- Black & Others (eds.), Jeremy, **A Concise Dictionary of Akkadian**, 2nd Printing, Wiesbaden, WS Druckerei Werner Schaubruch GmbH, Bodenheim, 2000.
- De Bode, C. A., **Travels in Luristan and Arabistan**, London, J. Madden and Co., 1845, Vol. I.
- Eroğlu & Others, **Cengiz, Osmanlı Vilayet Salanmelerinde: Bağdat (1903)**, Ankara, Center for Middle Eastern Strategic Studies (ORSAM), 2012.

- Fraser, J. Baillie, **Travels in Koordistan, Mesopotamia,** London, Richard Bentley, New Burlington Street, 1840, Vol. II.
- Holmes, William Richard, **Sketches on the Shore of the Caspian**, London, Richard Bentley, New Burlington Street, 1845.
- Martin, Vanesssa, **The Qajar Pact**: Bargaining, Protest and the State in Nineteenth Century Persia, London, New York, I.B. Tauris & Co. Ltd, 2005.
- Nieuwenhuis, Tom, **Politics and Society in Early Modern Iraq: Mamluk Pashas, Tribal Shayks and Local Rule between 1802 and 1831**, Boston/ London, Martinus Nijhoff Publishers The Hague, 1982.
- Oppenheim & Others (eds.), A. Leo, **The Assyrian Dictionary**, Third Printing, Illinois, J. J. Augustin, Glückstadt, 1992, Vol. 9.
- Redhouse, J. W., **Redhouse's Turkish Dictionary**: English and Turkish & Turkish and English, Second Edition, London, Bernard Quaritch, 15 Piccadilly, 1880, Part I: English and Turkish.
- Sir Harford Jones Brydges, **The Dynasty of the Kajars**, London, 1833.
- Tornau, Von, **Aus der neuesten Geschichte persiens**: Die Jahre 1833 1835, **Journals of the Deutsche Morgenlaendische Gesellschaft**, Petersburg, 1848, Vol. II.
- Watson, Robert Grant, **A History of Persia: From The beginning of the nineteenth century to the year 1858 (The Kajar Dynasty)**, London, Smith, Elder and Co., 1866.

البحوث والمقالات باللغتين الإنكليزية والفرنسية:

- Floor, W. M., **The Lūṭīs: A Social Phenomenon in qājār Persia: A Reappraisal, Die Welt des Islams**, New Series, Brill, Vol. 13, Issue 1/2 (1971).

- Arasteh, Reza, The Character, Organization and Social Role of the Lutis (Javan mardan) in the Traditional Iranian Society of the Nineteenth Century», **Journal of Economic and Social History of the Orient,** Vol. 4, No. 1 (Feb., 1961).
- Amanolahi, Sekandar, The Islamic Revolution and the Lutis of Iran, CSQ Issue: 9.3 (Fall 1985) **Nation**, Tribe and Ethnic Groups in Africa.
- Amanolahi, The Islamic Revolution and the Lutis of Iran; Amanolahi, Sekandar, The Gypsies of Iran (A Brief Introduction), **Iran & the Caucasus,** Vol. 3/4 (1999/2000), BRILL.
- Amanolahi & Norbeck, Sekandar & Edward, The Luti, an Outcaste Group of Iran, **The Rice University Studies,** 1975, Vol. 61, No. 2.
- Fathi, The Role of the Rebels in the Constitutional Movement in Iran, **International Journal of Middle Eastern Studies,** 10, 1979, No. 1.
- Stuart, W. K., **Journal of Residence in Northern Persia and the Adjacent Provinces of Turkey**, London, 1854.
- Denis, «Affaire du Kerbela,» **Revue de l'Orient,** I (1843).
- Sepsis, «Quelques mots sur l'état religieux actuel de la Perse,» **Revue de l'Orient**, III (1844).
- «S,» «De l'état administratif et politique de la Perse,» **Revue de l'Orient**, IV (1844).
- Floor, Willem, LUṬI, Article in Encyclopædia Iranica, **www. iranicaonline.org/articles/luti.**

مصادر ومراجع القسم الثاني

الكتب باللغة العربية:

- آل الطعمة، سلمان هادي، **تراث كربلاء**، ط 3، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة من إصدارات بغداد عاصمة الثقافة العربية، 2013.
- جعفر آل محبوبة النجفي، **ماضي النجف وحاضرها**، (صيدا، 1934).
- سليمان فائق بك، **تاريخ بغداد**، ترجمة: موسى كاظم نورس، (بغداد، 1962).
- السيد عبد الرحمن السويدي، **تاريخ حوادث بغداد والبصرة 1186 -1192 /1772- 1780**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد، 1978).
- الشيخ رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ترجمة: موسى كاظم نورس، (بغداد، د.ت).
- عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، 8 مجلدات، (بغداد، 1955)، م7.
- عبد العزيز سليمان نوار، **داوُد باشا والي بغداد**، (بغداد، 1967).
- علاء موسى كاظم نورس، **حكم المماليك في العراق 1750 -1831**، (بغداد، 1975).
- علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، 6 أجزاء بثمان مجلدات، بغداد، (ج2: 1971).

المجلات باللغة العربية:

- **مجلة الموسم**: مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث، تصدر من أكاديمية الكوفة في هولندا، صاحبها ورئيس تحريرها: محمد سعيد الطريحي، (العدد 15، 1993، العدد 19، 1994، العدد 20، 1994).

التقارير والوثائق غير المنشورة:

- F.O. 248/108, Lt. Col. **Farrant to Sir Stratford Canning**, dated Baghdad, 15 May 1843.
- F.O. 60/95, **Persian agent at Baghdad to Hajji Mirza Aqasi** (n.d.) [Jan. 1843].
- F.O. 60/97, Dr. John Ross to Lt. Col. **Taylor**, 22 Jan. 1843.
- **National Archives of India**, New Delhi, Foreign Department Proceedings (hereafter N.A.I., For. Dept. Proc), Political Consultations, 5 Oct. 1835, file nos. 16 26, political agent in Turkish Arabia to secretary to the government of India, 27 July 1835.
- N.A.I., For. Dept. Proc, **Secret Consultations**, 10 May 1843, file nos. 5 10, **Persian consul general**, Baghdad, to Mirza 'Abdu'l Husayn Khan, Dec. 1842.
- N.A.I., For. Dept. Proc, **Secret Consultations**, 10 May 1843, file nos. 5 10, Zillu's Sultan to Aqa Sayyid Ibrahim, Dhu'l Qa'dah 1258/ December 1842.
- N.A.I., For. Dept. Proc, **Secret Consultations**, 28 Nov. 1846, file nos. 87 96, H. C. Rawlinson to Canning, 29 Apr. 1846.
- N.A.I., For. Dept. Proc., **Secret Consultations**, 22 July 1843, no. 41, Justin Sheil to secretary to the government of India, 29 Mar. 1843.
- **Public Record Office**, London, Foreign Office 195/204, «Translation of a Persian Account of Karbala», spring 1843.

- P.R.O., F.O. 195/ 204, «Translation of a Persian Account».
- P.R.O., F.O. 195/201, «Translation of a Persian Account»; F.O. 60/95, Persian agent at Baghdad to Hajji Mirza Aqasi, 20 Dhu'l Hijjah/22 Jan. 1843.
- P.R.O., F.O. 248/10, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.
- P.R.O., F.O. 248/106, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.
- P.R.O., F.O. 248/108, **Farrant to Canning**, 15 May 1843.
- P.R.O., F.O. 248/108, **Najib Pasha to political agent in Turkish Arabia** (n.d.) [autumn 1842].
- P.R.O., F.O. 248/111, **letter of Ross to Baghdad**, 17 Feb. 1843.
- P.R.O., F.O. 248/111, **Taylor to Sheil**, 16 Feb. 1843.
- P.R.O., F.O. 60/70, **Farrant to Canning**, Baghdad, 22 Apr. 1843.
- P.R.O., F.O. 60/95, **Persian agent at Baghdad to Hajji Mirza Aqasi** (n.d.) [Jan. 1843].
- P.R.O., F.O. 60/95, **Sheil to earl of Aberdeen**, 14 Feb. 1843.
- P.R.O., F.O. 60/96, **Najib Pasha to French consul** (n.d.).
- P.R.O., F.O. 60/96, **Najib Pasha to Lt. Col. Sheil** (n.d.).
- P.R.O., F.O. 60/96, **Najib Pasha to Persian consul**, 22 Jan. 1843.
- P.R.O., F.O. 60/97, **Najib Pasha [to Zillu's Sultan or Sayyid Kazim Rashti]**, 11 Dec. 1842.

الكتب والمراجع باللغات الإنكليزية والألمانية والتركية والفارسية:

- K. S. Lambton, **State and Government in Medieval Islam: An Introduction to the Study of Islamic Political Theory**: The Jurists (Oxford, 1981).
- Abbas Amanat, «**The Early Years of the Bābī Movement: Background and Development**» (Univ. of Oxford D.Phil, thesis, 1981).

- Abu Talib Khan Isfahani, **Masir i Talibi** [Talibi Travels], ed. Husayn Khadivju (Tehran, A.H. 1352), trans. **Charles Stewart as Travels of Mirza Abu Taleb Khan**, 2nd edn., 3 vols. (London, 1814).
- Algar, Hamid, **Religion and State in Iran 1785- 1906**: The Role of the Ulama in the Qajar Period (Berkeley and Los Angeles, 1969).
- **Al Qatil ibn al Karbala'i**, «Risalah», printed in Asadu'llah Fadil Mazandarini, Tarikh i zuhur al haqq [History of the Manifestation of Truth], iii (Tehran, n.d., c. 1944).
- Anton Blok, **The Mafia of a Sicilian Village**, 1860 1960: A Study of Violent Peasant Entrepreneurs (New York, 1975).
- Bayat, Mysticism and Dissent; and Henry Corbin, En **islam iranien,** 4 vols. (Paris, 1972).
- Bernard Lewis, **The Emergence of Modern Turkey**, 2nd edn. (Oxford, 1975).
- E. Bosworth, **The Mediaeval Islamic Underworld: The Banū Sāsān in Arabic Society and Literature**, 2 vols. (Leiden, 1976).
- Claude Cahen, **Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'asie musulmane du moyen age** (Leiden, 1959).
- Clement Huart, **Histoire de Bagdad dans les temps modernes** (Paris, 1901).
- Denis M. MacEoin, «**From Shaykhism to Babism: A Study of Charismatic Renewal in Shi'i Islam**» (Univ. of Cambridge Ph.D. thesis, 1979).
- E. Honigman, «Karbala», in **Encyclopaedia of Islam**, 2nd edn.
- E. J. Hobsbawm, **Bandits** (New York, 1969).
- E. J. Hobsbawm, **Primitive Rebels: Studies in Archaic Forms of Social Movement in the 19th and 20th Centuries** (New York, 1965 edn.).
- George Rudé, **Paris and London in the Eighteenth Century**: Studies in Popular Protest (New York, 1973).

- Hanna Batatu, **The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq** (Princeton, 1978).
- Hasan Fasa'i, **History of Persia under Qajar Rule** [Farsnamih 'i Nasiri], trans. Heribert Busse (New York, 1972).
- Henner Hess, Mafia and Mafiosi: **The Structure of Power**, trans. Ewald Osers (Lexington, 1973).
- Ibrahim al Haidari, **Zur Soziologie der schiitischen Chiliasmus: Ein Beitrag zur Erforschung des irakischen Passionspiels** (Freiburg im Breisgau, 1975).
- Ira Lapidus, **Muslim Cities in the Later Middle Ages** (Cambridge, Mass., 1967).
- J. Chardin, **Voyages de monsieur le chevalier Chardin en Perse et autres lieux de l'onent,** 3 vols. (Amsterdam, 1709).
- J. G. Lorimer, **Gazetteer of the Persian Gulf**, 'Oman, and Central Arabia, 2 vols. (Calcutta, 1908 15, reproduced London, 1970), i.
- Juan R. I. Cole, **Roots of North Indian Shi'ism in Iran and Iraq: Religion and State in Awadh, 1722- 1859** (Berkeley and Los Angeles.
- Mangol Bayat, **Mysticism and Dissent: Socioreligious Thought in Qajar Iran** (Syracuse, 1982).
- Moojan Momen (ed.), **The Babi and Baha'i Religions, 1844- 1944: Some Contemporary Western Accounts** (Oxford, 1981).
- Moojan Momen, **Introduction to Shi'i Islam** (New Haven and Oxford, 1985).
- Mrs. Meer Hassan Ali, **Observations on the Mussulmauns of India**, first publ. 1832 (Karachi, 1978 edn.)
- Muhammad «Nabil» Zarandi, **The Dawnbreakers** [Matali' i anvar], partial trans. Shoghi Effendi Rabbani (Wilmette, 1974).
- Muhammad Karim Khan Kirmani, **Hidayat at talibin** [Guide to the Seekers] (Kirman, A.H. 1380).
- Muhammad Mihdi Lakhnavi Kashmiri, **Nujum as sama': takmilah**

[Supplement to «Stars of the Heavens»], 2 vols. (Qumm, c. 1977), i.

- Muhammad Tunikabuni, **Qisas al 'ulama'** [Stories of the Religious Scholars] (Tehran, n.d.).
- Murtada al Ansari Al Shaykh, **Zindigani va Shakhsiyyat i Shaykh Ansari** [The Life and Personality of Shaykh Ansari] (Ahwaz, 1960 1).
- Norman Calder, «**The Structures of Authority in Imami Shi'i Jurisprudence**» (School of Oriental and African Studies, Univ. of London Ph.D. thesis, 1980).
- Pino Arlacchi, Mafia, **Peasants and Great Estates: Society in Traditional Calabria**, trans. J. Steinberg (Cambridge, 1983).
- **Qur'an** 80:34 36.
- R. G. Wilson, **A History of Persia from the Beginning of the Nineteenth Century to the Year 1858** (London, 1866).
- Roy P. Mottahedeh, **Loyalty and Leadership in an Early Islamic Society** (Princeton, 1980).
- Sayyid Muhammad 'Abbas Shushtari (ed.), «az Zill al mamdud» [**The Outspread Shadow**], Lucknow Arabic MS. in the library of the Raja of Mahmudabad, fos. 44a 51a (a collection of letters between the ulama in Iraq and in north India compiled in 1848).
- Sir John Malcolm, **The History of Persia**, 2 vols. (London, 1829 edn.), i.
- Stephen H. Longrigg, **Four Centuries of Modern Iraq** (Oxford, 1925).
- Tom Nieuwenhuis, **Politics and Society in Early Modern Iraq: Mamluk Pashas, Tribal Shayks and Local Rule between 1802 and 1831** (The Hague, 1982).
- Willem Floor, «The Political Role of the Lutis in Iran», in Michael E. Bonine and Nikki R. Keddie (eds.), **Modern Iran**: The Dialectics of Continuity and Change (Albany, 1981).

البحوث والمقالات باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية:

- G. Gould, «Lords or Bandits? The Derebeys of Cilicia», Internat. **Jl. Middle East Studies**, vii (1976).
- K. S. Lambton, «A Nineteenth Century View of Jihad», **Studia Islamica,** xxxii (1970).
- Alphonse Denis, «Question de Perse: affaire du Kerbela», **Revue de L'Orient**, I, (1843).
- Anton Blok, «The Peasant and the Brigand: Social Banditry Reconsidered», Comp. **Studies in Society and Hist.**, xiv (1972).
- E. Farah, «Necip Paşa and the British in Syria 1841 1842», **Archivum ottoman icum**, ii (1970).
- Evrand Abrahamian, «The Crowd in the Persian Revolution», **Iranian Studies**, ii (1969).
- H. G. Migeod, «Die Lūṭīs: Ein Ferment des städtischen Lebens in Persien», **Jl. Econ. and Social Hist, of the Orient**, ii (1959).
- H. Inalcik, «Application of the Tanẓīmāt and its Social Effects», **Archivum ottomanicum**, v (1973).
- Henk Driessen, «The 'Noble Bandit' and the Bandits of the Nobles: Brigandage and Local Community in Nineteenth Century Andalusia», **Archives européenes de sociologie**, xxiv (1983).
- Juan R. I. Cole, «Indian Money' and the Shi'i Shrine Cities of Iraq», **Middle Eastern Studies**.
- L. Lewin, «The Oligarchical Limitations of Social Banditry in Brazil», **Past and Present**, no. 82 (Feb. 1979).
- Mohammad Reza Afshari, «The Pishivaran and Merchants in Precapitalist Iranian Society», **Internat. Jl. Middle East Studies**, xv (1983).
- Moojan Momen, «The Social Bases of the Babi Upheavals in Iran (1848 53): A Preliminary Analysis», Internat. Jl. **Middle East Studies**, xv (1983).

- Muhammad Golam Idris Khan, «British Policy in Iraq, 1828 43», **Jl Asiatic Soc. Bangladesh**, xviii (1973).
- P. O'Malley, «Social Bandits, Modern Capitalism, and the Traditional Peasantry: A Critique of Hobsbawm», **Jl. Peasant Studies**, vi (1979).
- R. Y. Ebied and M. J. L. Young, «An Unpublished Letter from 'Alī Pasha, Ottoman Governor of Iraq, to the Sharīf of Mecca», **Die Welt des Islams**, new ser., xviii (1976- 7).
- Reza Arasteh, «The Character, Organization and Social Role of the Lutis (Javānmardān) in the Traditional Iranian Society of the Nineteenth Century», **Jl. Econ. and Social Hist, of the Orient**, iv (1961).
- Robert J. Holton, «The Crowd in History: Some Problems of Theory and Method», **Social Hist.**, iii (1978).
- Said Amir Arjomand, «The Shi'ite Hierocracy and the State in Pre Modern Iran: 1785 1890», **Archives européenes de sociologies**, xx (1981).
- Willem Floor, «The Lūṭīs - A Social Phenomenon in Qajar Persia: A Reappraisal», **Die Welt des Islams**, xiii (1971).

الفهارس

* فهرس الأعلام
* فهرس الأماكن
* فهرس الشعوب والقبائل

فهرس الأعلام

غ

ف

ك

ل

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن

فهرس الشعوب والقبائل

هذا الكتاب

ما يزال حقل الدراسات العثمانية حقلاً خصباً وثراً بأحداثه ووثائقه الغزيرة ويستقطب جمعاً غفيراً من الباحثين والمهتمين بهذا الحقل الحيوي من التاريخ الحديث. ويُعدّ العراق خلال العهد العثماني واحداً من أبرز تلك الحقول الواعدة التي تساعدنا في تفسير إرث المنطقة وترابطاتها الزمانية والمكانية عبر التاريخ؛ فتاريخ العراق خلال هذا العهد مفعم بالأحداث الجسام ويحتاج إلى إعادة نظر وقراءة معمقتين بغية الإسهام في إزالة بعض التعميمات المؤدلجة أو هنّات بعض الباحثين وهفواتهم.

دار الوراق للنشر
AL Warrak Publishing

الغلاف صورة لكربلاء في العهد القاجاري - المصور محمد القاجاري

